893.7K5272

Columbia University
in the City of New York

THE LIBRARIES

الازليـــان

Presented to Columbia University Library through the kind care of Dr. Lotfi Rapheal by Mr. Richard Albert June 3rd 1939

GIFT OF
PRESIDENT N. M. BUTLER

B-1/2. 3d

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف
سليم وليم خياطه

الازليان

قصة حلم

سليم خياطة

مطابع خياطة - طرابلس

١٩٣٩

893.7K5272
O

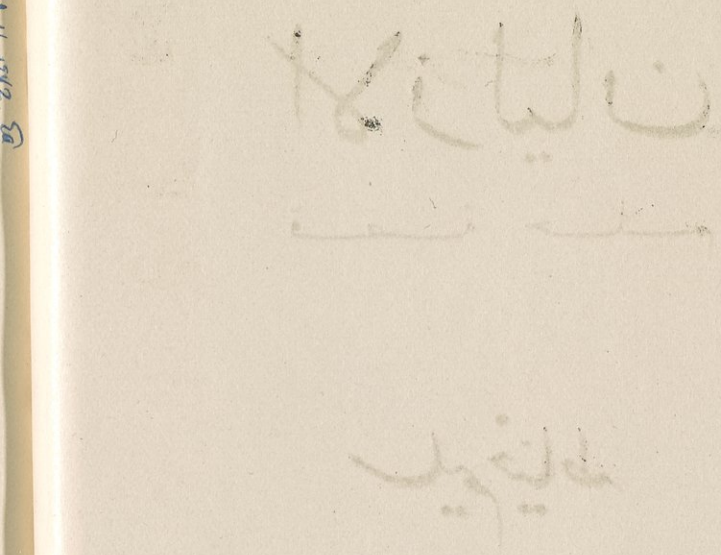

COLUMBIA
UNIVERSITY
LIBRARY

April 16, 1942

فهرست

	صفحة
اهداء	٣
الحالم	٩
الحلم	٤١
الحوار	٦٥
الصراع	٩٧
القارعة	١١٥
حوالي الفجر	١٦١
تعليقات	١٧١

الازليـــان

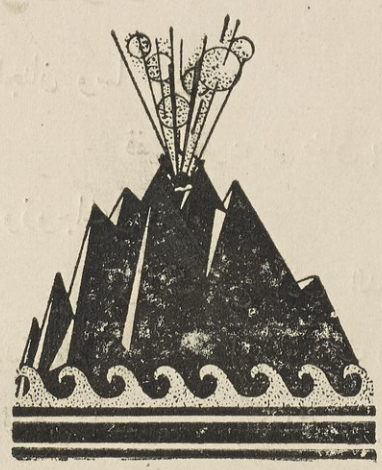

قال آدم :

تغيرت البلاد ومن عليها فوجه الارض مغبر قبيح
تغير كل ذي لون وطعم وقل بشاشة الوجه الصبيح
وجاورنا عدو ليس يفنى، لعين، لا يموت فنستريح
أهابل إن قتلت فان قلبي عليك اليوم منكتئب قريح

فأجابه ابليس عدو الله :

تنحّ عن الجنان وساكنيها
فقمي الفردوس ضاق بك الفسيح
وكنت بها وزوجك في رخاء
وقلبك من أذى الدنيا مريح
فما برحت مكايدتي ومكري الى أن فاتك الثمن الربيح
ولو لا رحمة الرحمن أمسى بكفك من جنان الخلد ريح

شعر على لسانيهما في «جمهرة اشعار العرب» لابي زيد بن الخطاب القرشي

اهـــداء

الى اسامة

كفاني عرفان الكرى و كفيته
كلوه النجوم و النعاس معانقه
فبات يريه عرسه وبناته
وبت أريه النجم أين مخافقه

الراعي صاحب عرفان

فكان حظك أنت أيضاً ، يا سامة ، من روح النعاس دوماً احلامه الحلوة ، ترعاك في أقاليمها أبديات النجوم عيون الغلس ،

وكان امر السهر عليكما معاً نصيب عين أرقة تكلأ هدؤ
رقادكما اللطيف فوق رأسك الذهبي الصغير ، فتتنقل ، مثل
نسمات الشاعر البدوي ، رفيقةً يقظى ، هناك بين مخافق
القوارير الزئبقية وهمس عميق السكون ،

والعين هذه وحيدة براسها ، كذات ماردي عولس الايثاكي
والسندباد ، منغرسة في وسط جبهة هذا الذي تشدينه من
شعرٍ وتصرخين له : « زليم » ،

ويوم تكبرين انظري مسماك في قاموسٍ ، تجدينه في ثوائه كامناً
بين زاي وميم . فاذا وقعت عليه قهقي ما شئت ، كان
معك ليقرقر فرحاً أيضاً او لم يكن هذا

« الزليم »

الحالم

السقوط يولد السقم أيضاً.

سوفوكليس

(من درامته المفقودة « تيرو »)

في الليل على فراشي طلبت من تحبه نفسي ، طلبته فما وجدته ... طلبته فما وجدته !

نشيد الأناشيد

وليلٍ كموج البحر أرخى سدوله ... علي بانواع الهموم ليبتلي
فقلت له لما تمطى بصلبه ، ... وأردف أعجازاً وناء بكلكل :
«ألا أيها الليل الطويل ! الا انجلي ... بصبح ! وما الاصباح منك بأمثل»

ذو القروح

كليني لهمٍّ يا أميمة ناصب ... وليل اقاسيه بطيء الكواكب
تطاول حتى قلت : ليس بمنقضٍ ... وليس الذي يرعى النجوم بآيب
وصدرٍ اراح الليل عازب همه ... تضاعف فيه الحزن من كل جانب

النابغة الذبياني

تحققت لسكامل آخر الأمر صورة من السعادة في وقوعه على كيان تجسدت فيه افكار حبه المسكوتة ، و في حصوله على حرية ثمينة ببيته وحديقته وعمله وأهلياته ، وتمتعه بما بقي له من ذكريات حسان لتجاريب كانت في حقيقتها شواذات حالة ودروساً قاسية . أما من قبل الرسو على واحة هذه الراحة الوديعة الغريبة عليه ، فقد كان رجلاً إن لم يكن ميتاً فحياً تقريباً كالميت .

قبل وصوله اليها كان شاباً بدون شباب : يائساً في غيوم من ضحكات قهقهية عنيفة تلفها عليه الحياة . تائهاً ، ولا يكاد يبيت دقيقتين على حال نفس أو نية . يتعثر في مستنقع من جمود آسن ، متشائماً في نعمة حاله وسهولة مجرى قليل

أمره ، منقطعاً عما مضى وعما هو آت مع تفتح مدى مستقبله لو اراد بعزيمة وتثبت ، تعباً منهوكاً من فرط كسله ، متأنفاً أفافاً ، متهكماً في تعصبياته وأهوائه .

كان يكره الناس ، يكره الحياة ، ويتوهم انه مكثر في حبهم جميعاً . كان يتسلى احياناً بوهمه أنه يحب الطبيعة والفنون . لكن دليل العكس أن عبقرية السرور كانت غريبة عنه ، لايفهمها أو يشعر بها كعذوبة لطيفة منه ومن العيش ، وفيه وفي العيش . السرور البسيط ، الحي ، النشيط ، كان بعيداً عنه ومحتقراً عنده ، فيروح يخلق لنفسة ألوان لذات تخيلية بلهاء ، افيونية الطبيعة والاحلام ، فتعمق له عذاب استشهاده على مذبح تعاسته . اما الحنين ، فقد كان لايحن لشيء . والكآبة الموجودة عادة في الاذكياء ، الكآبة الفلسفية الانسانية العميقة ، فقد تحجرت في قلبه حتى صارت محض عدم قدرة على الرؤية أو الشعور بغير السخافة والبشاعة في كل شيء . والحب ما ذاقه ، وان صدف له ان عرف شهوة ملقاة زادت في فورة ينبوع كراهياته واحتقاره وسقام نظره . لسان حاله كان توقيعاً على نغمة :

ما الفائدة للانسان من كل تعبه الذي يتعبه تحت الشمس

لم يكن ، في الحقيقة ، ليحب الا معاني الموت ، لانه كان كمن يموت وهو في تربة قبور . واذ كان ذكياً حساساً ، فقد اشتدت عليه هذه الحال جداً حتى أخذ

يـبلى باسرع من تلاشي أي شيء حوله في اقـليم هذه التربة التي نبت فيهـا كعود قصبة : اصفر ، نحيل ، معقد المفاصل ، لايستطيع الوقوف في مهب ريح سموم جارحـة اينما تمل به يمل .

لم يكن يدرك مايريد . كل مافيه وحوله من وراثة وتربية وبيئة كان كسحابات تجره بحبال وخراطيم واظافر ناهشة نحو زوايا احلام عنكبوتية معتمة. وكانت له أمان ومحاولات انكسرت فيـه ، وكانت له ظنون فخـابت ، اسـود فيهـا اعتقـاده . ومع ذلك ظل رجلا حالماً . لايخرج من حلم منهار الصروح الا ليدخل عالم حلم آخر لايلبث ان يتساقط عليه . مشكلته في ذلك انه كان في أصله ، بالطبع والاعصاب ، انساناً متسرعاً لايهدأ بالا ولا روحا . ولد وكل شيء فيه سرعة وعنف ومبالغة حتى في عدم السرعة والمبالغة والعنف . ولما تبلد أخيراً كان ذلك أمره : افراط تبلد . ولمـا انحل في عالم من ذوب افكاره ، ماعاد هو ذاته الا نهراً منهـا ، يسيل بلا انقطاع ان شاء وان أبى ، وبلا أي تعيين ، وبلاعنان .

نضج عند كامل في حوالي الخامسة والعشرين من عمره اعتقاد في ان جميع البشر اشرار منافقون . ظن ذلك حتى

بمن كانوا له ومن كان يحاول ان يجد له فيهم اصدقاء . اصدقاء ! حياته معهم غدت كذباً منه عليهم ومنهم عليه .

اخذ يتصور عالمه مرعى أفاعٍ وديدان . كم كان مسرحها بغيضاً اليه ! كم كان يبغض نفسه لانه يأكل منه ! كم كان يحس الديدان تتلوى فيه وتمتصه ، كما تتلوى في قالب جبن عفن عتيق . وهو في طور نمو الشباب صار يتقاعس عن شبابه يوما فيوماً . لم يبق عليه أثر ، ولو أثر المحو ، من حبور طفولته الاولى . أكثر فاكثر اصفر لونه وسقمت عيناه . لم يعد يشعر بحنو أو عطف من اي جهة . ظل يتقاعس في نفسه ، ويتوارى في قلبه ، ويغلق جميع نوافذها . أمسى طيه وحيداً في ليل ، مسموماً بتجريح ، مفقود الحاضرة وأمل الآخرة ، بل كما يصف الخيام :

لادين أو دنيا ولا ارجو الجنان في غد
كمومسٍ دميمة أو كفقير ملحد

لكنه وجد في الكتب عن عزلته بعض سلوى ، بله الوحيدة . ذلك انه كان بفطرته ايضاً انسانا اجتماعيا بعمق . يعشق الحياة ، يحب الحديث والاكل والشرب ، يحب الشغل والسفر والمناقشة والتفكير ، وذو ميل للصحبة في هذا المركب او ذاك . فقد نشأ ، وهو مايزال بعد على أصله ، لايحتمل العيش منفرداً .

انما حياة زمانه كانت الانفراد لأمثاله . حكمتها العليا كل انسان لذاته ، وبقدر ما ينهب من غيره . وعند الجماعة عيش تبادل في النهب ، وطرق وطقوس لذلك مسخرة ، فلا يستطيعها ، فيبقى بنفسه ينهب من نفسه . لهذا عندما طغت على شبابه موجة امراض زمانه الفاتكة ، وما زالت به تبعده عن كل ما هو حي في الوجود وبشري ، لم يعد يملك قوة الضغط على عاطفته أكثر مما فعل . فراح احساسه لكل تآلف يتجمد ويموت ، وهو ينوّم في نفسه ويخنق قصداً وعن غير قصد معاً صوت الحنين الى معاشرة الكون . لضعفه وتسممة استعاض عن الانسان بطيفه ، وعن واقعه بالوهم المنسي .

هكذا ترك الحاضر وحج الى الماضي . لكن لاليحيى به ، ولاليجد فيه مادة من مواد تحريك العيش او طريقاً لفهمه . لا ليتعلم أو يسر . بل ليتخدر . أغلب الناس يخدرون انفسهم بشغل محدود رتيب والاعتياد على استمرار حالة ما . والأذكياء النشيطون يعيشون بالخلق والاجتهاد والتجدد . اما كامل فكانت قوة الحركة والخلق سادرة فيه ومتحنطة . جففتها ، منذ ابتدأ في نزوله ، نعمته وأهله وأقرباؤه ، مدرسته وبلاده وبلده ، والاختلال مابينه وبين جميع ذلك . فكل ما عرفه ونشأ بينه وعليه في مرحلة انحداره وتبلده وقبلها لم يزده

الا انحداراً في تبلده ، حتى صار بالحالة التي لا تمتص الاما ينومها . لذا ، فانه في هجرته والتجائه الى محيط الكتب لم يدخله كالولج في قصور فتنة من عيش وفكر اهل ماضٍ وطوبى مستقبل ، ومن سحر مشرقي ومغربي . بل كان المرتاد قتل بقية شعوره بوجوده الحزين . بل رام قتل الوقت اطلاقاً ، والابتعاد اكثر من البعد عن جمعية الاحياء الذين أقرفهم بكل قوة شعوره المرضي ، مبدلاً في ذلك حاجة وضرورة الاجتماع الى أهل الوجود بما يسد المسد من معاشرة الاموات والاشباح خبراً وقصصاً .

ومع ان كل الدنيا اصبحت لديه غرفة ضئيلة النور ومؤلفاً بالياً ، فقد كان يكره حتى غرفته ، ملجأه الاخير ، ويسخر من الكتاب كشيخ معريّ الطبع بأن يراه هذيان كلام بكلام بكلام ، حروفاً صغيرة مؤلمة كالدبابيس ، تنخر في الدماغ باسنان مثل قرض السوس بالخشب . بيد أنه لم يكن ليحاول أو ليريد الخروج منها ، اذ لم يكن له من مكانٍ في الخارج . مكان ما لم يكن ، مهما وسع ، ليحتمله أو يحتويه . أو أنه كلما وسع ضاق عنه ، وكلما ضاق تواسعا وتآلفا . واذ كان اللحد أقل محل يتناسب مع قامة الانسان ، فقد كاد يصير

عنده أمل الراحة لحياته ، وتصير هي أمل اللحد بامتلاء صدى الفراغ المصطبر فيه بجسم صامد من مادة السكون .

واما قرأته ، فقد كان من اكثر ما يعجبه ان تطوف به دويدات افكاره على غمر من حكمة سليمانية عدمية وما كان من نوع أدبها وروحها : باطل كل شيء ، باطل اباطيل وهواجس فناء . واما ما صاغه متكلمو الانسانية من مثل حبب نشيد انشاد خمرة الحياة ، اعني اغنية الملك الحكيم شيخ الغرام ، فقد كان يقذف به من امامه ويقتلع صفحاته احيانا من بطون مجلداته ، كراهب ورع ذي ارتياب في نزوات نفسه يأخذ بتمزيق أوراق الوسوسات الشيطانية من عهد توراته القديم .

لكن حكمة الأباطيل تلك ذاتها كانت ايضاً كأكره شيء عليه . انما لو تركها لكان كمن يقطع آخر خيط هزيل يربطه بالوجود .

وفي ذات ليلة ، مابين هزيعيها الثالث والرابع ، نهض من قة لذة ندرت له في رؤيا كان يغشاه وهو شاحب كئيب الروح . كانت خيوط ضعيفة من شعاع قمري بلهث النور

السابق للفجر تتخلص الى الغرفة كاطياف ناحلة من خلال شقوق الآجورات بعضها ربع مفتوح ، فتترسل على اثاثها ظلالاً مرسومة من ابهام الظلمات المخنوقة واولى تخاطيط الخليقة بينها ، من الوان ضوئية خفيفة بين اصباغ اشياء مختلطة تسير قاتمةً الى فاتحة . فكانت الغرفة تنقلب وكأنها كهف باهت من تسرب بصيص ، و تتحرك فيها نسائم باردة من الحياة الاولى ، طالعة من عماء اللانهايات المجهولة ، اللانهايات التي لانور فيها ولا رائحة ولا صوت . كانت مثل فراغ اخذت تزحف فيه الاهواء والرموز والخيالات .

استوى كامل في فراشه ، وكأنه اراد ان يفكر في شيء على طريقته المعتادة ، اذ انه لم يحدث له شيء جديد البتة في مجرى حياته سوى هذا الحلم . غير انه كان يعود اليه بتمتمة هاجسة دخيلة :

ـــ عجيب أمره ـ كان يفكر ـ عجيب ! انه كحادثة وقعت لي . حادثة كبيرة ! رأيت فيه كلما كنت فيما مضى اتمناه . لكن ، اواه ! لا استطيع ان اعمل شيئاً . لا استطيع ! »

ثم اغمض عينيه كأنما قد عاد غريقاً في عالم الرقاد . وكانما آخر ما تشكل فيه من كلمات مناجاته كان صدى يسبق

موسيقى بعيدة ، تهب انتفاضات وانتفاخات كأنواع الريح والهواء من نحو عالم زاخر بالمختلفات والمتناقضات والتشويش ، ويطلع عليه فجر يبدأ بتحريك جوقة الحياة فيه كأنه عصاة « مايسترو » عبقري ترتب مبعثراته ، وتنظم منثوره ، وتوضح منه أشكال المادة العماء .

فديك يصيح ، وترامواي يكر بين هالات اصدائه تخرج عن لولب في قفر شارع فارغ ، وسنان ، مغلق الابواب . ثم عربات ثقيلة تتدحرج ، ووقع حوافر ، وبواخر ترسل صافرات مداخنها السوداء الهيفاء ، والبدينة المسهمة ، اجراساً اما تفح هديراً جهورياً ، او تنفخ سخيفة ، نسائية ومخنثة ، فتشق حجاب الكون كل بضعة دقيقة بعويل طويل خزاق ، او زعيق طعان كالسكاكين . كل الاشياء كانت تقول لكامل وهي تتولد :

— لاتستطيع ! مت كمداً ، لاتستطيع ! »

ثم تضحك ... تضحك ... تضحك حتى تنقلب على اقفيتها ! تضحك منه هو ! تضحك منه هو ، وليس من احد سواه !

وعاد يفرك عينيه . وتململ وتقلب حتى قام يدور في

الغرفة كالمسجون ، مابين مقعد وكرسي وكتب منفوشة على رف . ثم وقعت يده على سفر تاريخ عصري عجيب غريب وضعه فيلسوف من عكس نمط نفسه ، اذ كان ديموقريطيشياً قهقهياً ، في رأسه شيء ، وفي عروقه دم لاتيني دافيء ، وفي كتاباته وآرائه فذلكات وتوثبات من حكمة الاجيال التي لا ايمان لها : متسامحة ، فهيمة ، معطاة في افاريز من صور ريشة فنانة حتى العبقرية . لم يكن ليتذكر كيف وصل هذا السفر الشاذ الى رفوفه العتيقة التصانيف يعلوها نسيج الاهمال بغلالة الغبار وسخام القنديل . غير انه ، على بعد الشقة بينهما ، اجتذبه اليه بلطف من العنوان واول سطر فيه ، فظل منكباً عليه ، من فرط ضجره من كل شيء آخر حتى النوم ، طوال ليلته . وكانت من هذا الكتاب قصة صغيرة استوقفته ، فعاد اليها مثنى وثلاث ورباع . لقد كانت تخبر عن واقعة خيبة مريرة لدكتور علوم ضليع اشبه بالطبيي الذكر علماء حجر الفلاسفة .

فقد اعتزل الدكتور هذا في صومعة اكثر من نصف قرن وهو يقرأ الكتب ويطلب المعرفة . بعد ذلك اخذت تختال في باله خاطرة غاوية توقع في التجربة كالشيطان ، وهي

ان يقوم بدورة في العالم يكمل بها سيرته الدراسية ، ويتخلص منها الى انتخاب رأي له ومعتقد حاسم عاصم في معنى الوجود، ومن ثم الى ناحية عمل تأتلف مع هذا الرأي يقدم بها ، للانسانية المحتاجة ، ثمرات علمه وشيخوخته الناضجة . وعلى هذا تمثل باسلاف له في هيرودوتس وابن بطوطة وبرنيه ، وفتل يقضي ربع قرن آخر من عمره في رحلة التحصيل ، يخالط اصناف الامم ويجوب مجاهل كل اقليم قصي وعجيب . بيد انه لما رجع من سياحته الطويلة جلس الى طاولته مطرقاً ، يفكر فيما وصل اليه من حاصل . غرق يتأمل بانقباض ونفس كالكينا في جميع الذي كان قد قرأه مدة نصف قرن في المجلدات ، والذي رآه من بعد في نصف هذه المدة الطويلة بانساني عينيه من تعاسات حروب وجرائم وفقر وامراض وحماقات وفظائع من كل شكل وصبغ . لقد انتهى به جماع علمه وتجاربه وسفراته الى يأس مطلق ، ومن ثم الى نتيجة جد منطقية (وكل البلاء ، كما قال علي ، موكل بالمنطق) في الارتياء بان افضل ما يعمله قبصة العاقلين ان يجتمعوا ، على قلتهم ، ليحفروا بئراً عميقاً في الارض يحشونه باكثر مايمكنهم الوصول اليه من مادة الديناميت ، فتنفجر هذه البسيطة

طائرة من اساسها ويرتاح ضمير الكون من حشرة مزعجة ! . .

وصل الاشمئزاز بكامل في هذه القصة الى اقصى حد . وبعد تأمل واعادة تأمل فتقت له فكرة انفجارية هائلة ، يكاد يكون مجرد ورودها عليه تبدلا ثوريا تاما في حياة رجل مثله . كانت بشارة . كانت قبساً يدل على تكون جنينيّ لرغبة في العيش من جديد . قال في سره كلاما معقولا :

— اجوب العالم بادئاً منذ اليوم . فان رجعت على رأي الدكتور لا اتعب نفسي تفكيراً بالاعاجيب المستحيلة لاراحة الناس من بعضهم بعضاً ومن لعب الاقدار ، وهم بعيشهم كيفما كان ربما اعتبروا انفسهم فيه مرتاحين . بل ارجع وحيداً الى المنبت النتن في التراب ! وهل ، اذا اتيت عملا اضطر فيه الموت ان ينساب الي مكشراً ، مرحباً ، فاتح الذراعين — هل ، اذا اتيت مثل هذا العمل ، من شيء يقعده عن وظيفته ؟ قد تبكي الشيخة يوما او اثنين ، وتبيض بضعة شعرات اخرى في مفرق العجوز . لكن ذلك سهل امرهما ، اذ لن يلبثا حتى ينسياني . ينسيان بحياتهما ، وهي بهما حافلة » .

وفي مساء السفر كان يفكر على هذا النحو :

— لم ابقت الايام على اجداد وصلت سلالتهم الي ؟ لماذا لم يفن الوبأ الكبير نطفة الحياة التي امتدت تتمطى من خلال الاجيال ، متشكلة في صورة بعد اخرى ، حتى حطت ركبها في هذه المشئومة المطموسة ؟ لم لم تدس رجل الاسكندر السكير ، او قيصر الطاغية ، على رأس ذلك الانسان الذي كان موجوداً في ايام هذا او ذاك منهما وانحدرت من رحمه او صلبه ؟ كيف عاش وتعدد ذلك الرأس ولداً بعد ولد ، ولم يتهشم في طاحونة التاريخ ؟ لماذا لم تشد جنود الكورسيكي الى سوريا بعد مصر وفلسطين ؟ فلعله كان ذُبح في جملة من أرحلوا عن سطح الكرة ، تمجيداً لكل دعوى تحت دعوى التمدين ، سماك ساذج خفيف مكر كالقديس ؟ ألا لكانت انطفأت اذ ذاك الشرارة التي مازالت تعتلج عبر حقب طويلة في سلسلة لامتناهية من الخلق ، متمايلة في رحلات رحلات بين الموت والبقاء والموت ، لتنتهي اخيراً الى البقاء ، الى شقائه في هذا الكيان ؟ كيف كتب لمثلي من نبات وصول سالم الى وجودي الموحل بعد ان ظل خيط السلالة يكر عن بكرة الانسانية طاعناً في احشاء حقبها المظلمة ،

متخلصاً من ابدية سديمية معتمة ، غارقا في رطوبة اختلاط اليابسة بالغمر بين النباتات اللزجة المهولة في غسق فجر الارض ، ماراً بحياة الغابات الاولى بصحبة الدبابات الهائلة ، فالفيلة والاسود والتماسيح ، متحدراً من حيوان الى حيوان ، من حجيرة بروتوبلازمية الى أب لسعدان ، فأخ له انسان ، ثم حط الرحل في جسم بشري اجتماعي يحيا في قبيلة همجية ، ففي قرية من حول قلعة كمستوطنة طفيليات على فريستها او سرب ذباب في قرص حلوى ، واخيراً طي مدينة براقة هوجاء تعج بمئات الوف من هوام امثالي ؟

« لماذا ، لماذا لم ينقطع ذلك الخيط الرقيق ، الواهي كاشعة ضوء ، اثناء هذه السيرة الطويلة ، المترنحة بين مختلف الاوباء والهجرات والغارات ، منذ الطوفان الاول حتى الطاعون الاخير ، منذ الهجمات القبائلية الابتدائية ، فالغزوات المصرية والاشورية ، البابلية والفارسية ، اليونانية والرومانية ، البربرية والعثمانية ، الطوائفية من كل نوع والتترية والنبوليونية ، حتى هذه المجزرة الاخيرة التي ماكانها كانت الا تحقيقة واقعية لتخيلة ذلك الدكتور المتطير الدريس ؟

« لماذا ، لماذا لم ينقطع خيط العنكبة الضعيف ذلك

في عبوره على كل هذا المد والجزر الفاتك العنيف في تكون قشرة الارض المتنفسة ، وطبخة سيرة الحياة عليها ؟

« أللحكمة كان ذلك ؟ وما هذه الالهة البليدة ؟ أهي روح العذاب ؟ كم ابغضك ايا هذه الحكمة الغريبة ! ولدت عدواً للآلام ، وهآ نذا الاضحوكة من فريساتها ! هاهي تأكلني عفونة آلامي الصغيرة المدمرة . تمتص دماء شبابي . تشوهني في اعماق اعماقي . تمرضني ، وتجعلني لنفسي ابله كريهاً . تدفعني الى لعن الحياة بعد ان كنت احبها باقوى مما تحب الام ابناً لها وحيداً لطيفاً . العن الحياة التي لاترحم شيئاً ، ولا استطيع السبح في خضم مجراها القوي كما يغطس فيه جذلاً ، راقصاً ، مغتسلاً بحبور واجتهاد ، كل ماهو سليم ، نقي ، وحي » .

كذلك كانت تأملات كامل .

وظل يسافر وتسافر معه اجسامها وما كان من روحها كداء زنيم متغلغل في الكبد والدم . تأملات مظلمة جموحة ، تعوي في اذنيه عواء مزاقا تاعساً مثل عواصف ليالي كانون . تتجاذبه كافراس مجروحة ، شرسة ، متراكضة ، وقد ربطت اطرافه باذيالها . لقد كادت تصعقه . لم يكن له صبر دكتور القصة المعمر المتشائم ، فكان كانما قد هم مرات بتنفيذ نيته

قبل ان تنتهي الرحلة . كان يشعر بالضغط والضرب على وتيرة نفسه مزداداً مشتداً طرقاً على نقر ، وساعةً فساعةً . لم يجد له في كل ما رأى شعاعاً واحداً من الامل . غشاء مدلهم كان يعكر عليه صفاء عينيه ، ويلتف على دماغه ، قابضاً عليه مثل سرطان بطنه مقعر ذو ابر كظهر قنفذ ، واطرافه قارصة جد شائكة .

بل كان الناس الذين يلقاهم أتفه في عينه السلتاء ممن عرفهم قبل . كانت صور الحياة التي يصطدم بها في مختلف البلدان تراها نفسه الكليلة ، المستسخفة ، المستبشعة ، سواءً في مجال ميولها الاشمئزازية هي والتي عرف ما قبل السفر . كان يصور له الطغيان والانخذال الانساني في كل مكان ، وبذات مقادير وتلونات التعاسة ، وبالبشر نفس حالات الاستغلال الظالم والاغتنام والتعدي وكذب النفاق ، ونفس حالات القبح ، القساوة ، الغرور ، حرمة الاضاحيك والبهاء المقدس على مسخرات . ومن تعرف اليهم بدوا لطعم ذوقه المر المريض نسخاً ثانية عمن عرف . بل ربما لم يتحدث مع انسان واحد اكثر من مرتين . لم يعتقد ، وهو في النوبات الانحلالية من كبر انحرافه وتقززه ، لم يعتقد في جميع من صدف او

رأى او سمع عنهم بان في مكنة احدهم حب الحياة كما احبها ايام ان كان صبياً وبصحة نفسه ، ولا ان يطلب رحيلها كما يطلبه : لان الحياة ليست كما تجمل ، لابه و له ، بل بنفسها وللحياة !

توهم لروحه العليلة ما امامه من خلق رهط عبيد على بعضهم ، ومدنهم كعجائب الأرضة في تلالها المشيدة ونفقها المحفورة . وكعبيد الفراعنة ، يبنون الاهرامات في الصور والوصفيات الصارخة ، بانوا له . غير انه لم يعرف منهم الا ماكان يأمر به من يصدف في خدمته لقاء دراهمه من طعام وايجار ، فكان يزداد من جهله وسطحية احتكاكه تقززاً منحرفاً سقياً . وكانت امارات العته تبدوا عليهم فيما بقي له من نظر وفكر شبه معتوهين ، ولا يكاد يدرك بان اكثر من نصف مابهم من بلاهة هو انعكاس عنه وفيه . يرى عليهم وجوهاً كأقنعة ، كخوذ الغطاسة ، او كلثام كارنافالات لعرض مجسمات وجوه الدمامة والنشوز ، فتستر ولا تحجب مايتلوى منهم في خياله من هيئات ارواح الشرور الدنيوية جميعها .

ورأى تفتحات نمو هائلة لسيادات عظيمة . كالفراعنة

في الصور والوصفيات ايضاً رآها . ومعها اشكال انسانية منصوبة على امجاد خلت لنظره من معنى في الانسانية . فهي تتراءى له مجرد مناظر مضخمة ، مجرد اوثان للبلادة والوعي الضائع ، تحيا ، في دوران على محاورها ، دون شعور بوجود وحال كريه . وقد كان يأكل منه حركة الظن وخبال الشك بان هذه الهيئات الصنمية من لحم ودم بشري ، وتلك السيادات من حجر وحديد مرفوع عليها لمعات الفراعين ، وتلك الاسراب من خلق ملحوقين بسياط لاهبة ، يتعبدون باجمعهم في هيكل للموت رهيب كبير ، مؤلف منهم انفسهم ، ويحققون باجمعهم وصفة دكتوره في تنقيب حفير العدم ، وفي جمع المفرقعات الهدامة والانهاك بلعبة مجزرة باردة ، غير مخططة ، ولا ظاهرة المتجه ، ولا تمتاز عن رؤيا شيخ الهموم ذلك الا بانها ابطأ وابشع .

وهكذا قد كان عقله يضيق يوما عن يوم في سفره ، واعصابه تفقد التوازن اكثر فاكثر ، حتى اصبح ونظره لايرفرف الا على صور « غارغويلية » ، وتكشير مسخيات واصباغ

سطحيات ، مبتعداً مبتعداً عن ملموس الوقائع والأشياء وظاهرها البين ، عن تعقيل حركة البشر في مشتبك أمرهم وداهمه ، عن كل ما كان يعلم ويفهم فيما مضى من حال كل ما يكون في الانسان وحوله عادة . صار يعلق الاهمية الاولى في كل شيء على تفاهته ، بل لا يرى سوى التفاهات . صار يفسر كل شيء على مزاجه . اصبح الوجود باسره وهماً في رأسه . فليست من حقيقة ، ولا من مصدق ومكذوب ، ولا مادة هناك ذات وزن وحجم وصفات ، ولا البشر كالبشر . ليس الا الوهم . سراب ، صور ، خيال ، وتفكير سكران بغير حدود وقياس ومنطق . وليست الاشياء حتى من كلام ، بل على الاكثر بخار احلام . انسان كهذا قد يسمونه حالماً .

غير انه لم يكن حالماً الا بسيماء وحالة الغافي المستغرق التي كان يبدو عليهما . فالحالم مفكر في نفسه ، وقد يكون تفكيره مبدعاً ومجتهداً ، ورحماً مولداً لحقيقة مدهشة او تركيب ساحر . اما كامل ، فقد وصل به مرض روحه قمة الانعدام والسلبية والذبول . صار يعيش ميكانيكياً ، كنبتة عفوية ، بطيئة ، غير عاقلة . لم يعد يلذه او يريحه أقل لذة او راحة أي شيء كان . ولم يعد يغضبه او يستفزه شيء ، فلا يتحرك له عصب ، ولا يكاد يقف او يقعد الا مرات معدودة في اليوم . لا منظر ولا طعام ، ولا حركة ولا حادثة ولا قراءة ، عادت تجلو

صفحة نفسه الصدئة أقل جلاء ، او تخدش منه اطباق بلادته أبسط خدش . يسافر قاطعاً الاصقاع ومسافات الارضين في كل فج وكأنه بين جدران غرفته الاربع لا يزال ، لا تتعدى به مساحة الرحلة بضعة امتار ببضعة .

طعمة تاعسة لبحران اطني ، لدوخة مبهمة مستمرة ، غير واعية ، لوساوس سلية خبيثة ، كان يمشي على الارض وكأنه في القمر !

وكان قد مضى عليه شهر في فندق نيويوركي ، بحجرة في الطابق السابع والاربعين .

كان يبيت فيه كل اليوم الا ساعتين او ثلاث يخرج اثناءها للطعام ، او لمشية تائهة بين سطور الخلق ، او لحضور تمثيل في ملهى او مسرح ما إن دخله من بدء الحفلة لم يتم نصفها ، وان دخل من نصفها لم يأت على آخرها .

ثم جاء يوم ازمع فيه على السفر ، على العودة . لم يبق على الكرة معنىً يمسكه في مكان ، او يدفعه غير دفعة انسيابه العفوي نحو راحة الانتهاء من الفكرة الوحيدة التي تمر به احياناً وهي أنه لم يصل بعد الى مصدر مورده ، الى النهاية ، الى علامة الوقوف التي كان وضعها لسفرته ، الوقوف امام جب حياته الرهيب .

يرجع الى بلده ، أو بالاحرى الى غرفته ، حيث يقاضي وجوده الحساب الاخير قبالة طيف زميله الدكتور ، حساب الفرق بينه وبين الدنيا ، بينه وبين الخالق ومخلوقاته معاً . حوائجه الآن في مكانه المحجوز في السفين ، وشول مرساتها موعده هذا المساء.

لكن اذ كان الوقت لايزال حوالي العصر ، فقد ظل يتمشى ، كشجرة ذابلة تسير بهامة حانية ، حتى توقف عند واحدة من هذه الدور التمثيلية المجونية ، العريقة الماضي والروح والتقاليد في تاريخ الاداب والقصص الشعبية ، وفي المسخريات المسرحية من الدراما الهزلية وطراز المحاورة « اللوسيانية » حتى أشكالها « الفولكلورية » في بيوت الدمن وشاشة القراكوز ، في هذه الظاهرات التعبيرية ، الدلالية ، المتفلتة ، لدى الشعوب ذوات المدنيات السمينة ، المبطنة ، القوية التأثر والانطباع بصبغة حياتها الداخلية الانحلالية المحجبة ، الشديدة الظهور فيها على مرتبة ولون ثقافتها ومعتقداتها ، على اخلاق عيشها الواقعية اليومية ، منحصرة تقريبا في نواحي اللهو والابتذال الغرامي من كل ذلك .

ظل يتمشى حتى توقف عند واحدة من هذه الدور التي ذلك بعض الحسب من صالح سلفها ، والتي تعرف اليوم في كبيرات

مدن العالم الجديد « بتياترة البورليسك » ، اي ملهى الهزل الماجن ، لانها تعرض قطعاً « فودفيلية » خفيفة تبلغ احياناً أوجاً في الاجادة بنوعها : من حلاوة النهكم الحي ، وابر النكتة الدبوية اللاسعة عن كل شيء وكل اسم ، والفكاهة الثرثارية الخالصة ، واحياناً معرة معرات الاستفزاز الخلاعي وهجنة التلاعب بالطبويات الجنسية .

ظل يتمشى وقد سارت به خطاه من ذاتها الى شباك التذاكر . فقطع واحدة وهو على حالته التي أصبحت عادية : ساهياً ، متبلداً ، غير منتبه الى شيء ، متحركاً كآلة ، « كروبوط » معدني صغير بغير حلم ولا فكر ، كدمية خشب او جبسين ، كأمين صندوق بنك قبل ساعة من ظهيرة يوم سبت ، كمنوّم موحى اليه — خطى كانت تسير به من خطى كأن كلاً منها جلدة معدودة كتبت عليه .

لكنه خرج ، بعد خمس دقائق ، مسرعاً من الباب الذي دخل نفسه . كان بوجه من الانفعال أزرق يابس ، وزوج عينين كجمرتين ، ويتردد في فراغ رأسه طنين آخر كلمات المقطع الوحيد الذي سمعه من الرواية الجارية ، والذي كان كأنما قائله ، ذلك الممثل الحطيئة الدميم ، التمساحي الشكل ، يدقه مسامير المسيح في قلبه ، بمطارق من مناجاة شخصيّة

سكير سفيه في هذه العبارات منه :

السكير السفيه

ـــ ما ابشع هذه المتصابية الشمطاء ! انظر كيف تهز ردفها الثعلبائي المنفوخ مثل فيلة تتدلل بخفر ! هذه البنية التي معها لابأس بها ، لكن جنس النساء خائنات ! وصاحبك ذاك ، ياصاحبي ، عينه وكرشه يدلان على انه خنزير عريق في نسب نوعه . وذلك القطار الذي كنا مسافرين فيه بالامس ، أتذكر ؟ لقد كان مُقيئاً بروائحه الكريهة وبمن يشحن من شكول حمير . ولقد زادت هذه الطائفة واحداً ، اذ من يكون هذا الولد الطاريء الا ذاك ، هذا الذي جاءتني به فالانتين ـ تين ـ تين ـ تين ! ؟ اللعنة عليها ، وعلى مكرها ، وعلى رحمها الموبوء ! اود لو ابعجه برجلي هذا الولد . اذا نظرت اليه ، ورأيته كالعنزة بمخاطه يزرب من مسيل انفه على فمه مرة ثانية ، فسافرغ معدتي وارمي بنفسي من أعلى طابق . ولماذا يوجد اطفال ؟ ألترضعهن امهاتهن اللزجات بلحوم اثدائهن الزنخة ؟ ام ليتسلين بتمريغ أصابعهن وانوفهن في خرقهم النتنة ؟ ألا ليلهين انفسهن تلك الفاسقات بشيء آخر . ليخلعن ، ليجنن ، فهذا جميل ... جميل ... أجمل من الحبل ورضاع البقرات ! جمييييل ... »

وانقلب على صفحة وجهه يعربد في لعابه .

أما كامل ، فلو كان يشعر وهو خارج من التياترة ، لشعر بانه لكي يرتاح هذه المرة يجب ان يبصق روحه . أفي الدنيا مثل تلك الشناعة ؟ افيها كاتب يملك من القدرة الخارقة والغلبة على الحياء ما يستطيع ان يصل بهما في خياله حتى ليمكنه التعبير عن قذارة كتلك ؟ لقد كان يعلم ، ولا شك ، بان ابطال الروايات ومتنوع شخصياتها ، مهما كانت مصبوغة او مصطنعة ، لهمو صور او قطع لبشر من لحم ودم يتنفسون. فلو كان يدرك ، هل كان يستطيع ان يحتمل التصور بان مثل من سمع كلامه انسان يرزق ، بل وربما كان جالساً في مقعد عن يمينه ؟ لعله لم يبك طوال عمره . ولكنه ، وهو يخطو منقذفاً الى الرصيف ، ويحس نفسه غاطسا في نهر ويغرق ، نهر جماهير تروح وتجيء لا يعيها ولا تعيه ، كان يحس ايضاً ومن دون فكر انه يريد ان يبكي ، ان يشهق شهقة يعقبها عدمه . وكان ، في الحقيقة ، يبكي ويشهق في صدره بصمت . بصمت ، بعمق ، لنفسه ، شأنه في كل اموره .

بصمت عن كل ما في الكون، بعمق كالبحار الغارقة في نوم الليل.

وفي المساء كان يمكن اعتبار سفرته قد انتهت. فانه لم يعد عنده شيء يطلبه من شيء، ولم يعد عنده احساس يرف. حساب الحياة الذي كان قد وضعه بينها وبينه لم يعد يفكر فيه، وكل خاطرة من حولها او عنها خرجت منه هاجرة. حتى كراهياته الاشمئزازية انطفأت فيه جذوتها. وقبح الوجود والانسانية وسخافتهما، مما كان لايني يراها على وجه كل شيء، لم يعد ايضاً ليراها. اصبحت جميعها، بالنسبة اليه، اسماء في حيز العدم، عدمه هو، في حيز جاهل الشيء الذي لم يسمع به قط، فكانهما ما خطرا له ابداً في يوم سابق على بال او لسان، وكأنهما لا تحيرت لهما معان قط على صفحات عقله، فهما ليسا الآن في حسه مثلما لم يكن لجمالها نفسه منذ قبل سفره اي وجود فيه.

كان ملتحفاً احرامه، متمدداً في مقعده البحري على ظهر الباخرة. ولعل هذا كان عجباً من امره. لكن ما كأنه مما به من فرط الانتفاخ في انحلال كل شيء فيه الا على حالة لم تعد تحتملها ستة جدر ضيقة كالقالب مهما كان من ضغط الجو الخارجي على ضعفه، او من قابلية طبعه على الانكماش والانسحاب، فقاءته حرارة خليته في بطن السفين منذ اول

دقيقة دخلها . اما غريزته الاصلية ، فقادته طفرةً الى اقصى منعزل عن دنيا البشر بعد الصومعة والكتاب - الى الفلاة .

كان تحت القمر . والقمر يذر حبب فضته المدقوقة الناعمة ، البيضاء الباهتة ، في شفوف سماء هانئة فارغة القلب ، تتدلى منها عماشيش عديد النجوم كعيون فلسفية او كزينة من ثريات تتلألأ في اول اشتعالها . وكان نسيم معطر باريج يحري مملح يهدهد للنوم اوقيانوسا ساكنا سادراً مثل اسد شبعان لطيف ، وعلى صفحته ينساب السفين زاحفا في اول امره كالسلحفاة الثقيلة ، لاهثاً مترهزاً ، أحلى من سرير طفل ، يذنّب خلفه في الماء شقاً طويلا من الزبد مثل خيال للمجرة او ذنب طيارة لاولاد ، خارجاً من جون يتلألأ برقص الاضواء عليه بين وشوشة خفوت حركة المدنية في دخولها للراحة تحت كلة الليل ، وينفرج عنه من كل جهة مثل فكين هائلين من حجر ومعدن ، مركبين من خطوط الافق المعتمة وظلال مربعات ومستطيلات ودوائر واشكال ناشزة لناطحات ومخازن وبواخر .

وفيما كامل حالة عليه غيبوبة ما بين انحلال الشعور

واطراف الفناء ، لم يسمع الا وصوت يسأسيء له كنغمة بلبل يشق غلالة الرقاد في فجر من أصبحة نيسان :

ـــ أرجوك ، يا سيدي ، ان لم اثقل عليك بكثير ازعاجي ، ان تنظر لي هذه الحقيبة هنا دقيقتين حتى اجيء بمن يحملها لي الى «الـكابن ».»

فرفع كامل بصراً دائخاً لتصدعه جنية عربية العنين ، زوجت له ـ كانما حزرت مصدره ـ لغة بلاده بلسان انـكليزي اميركي ، شأن طالبة سورية تحصل في كلية من جامعات العالم الجديد ، او ابنة مهاجر عصامي سميك ، نصف امي ، يستجلبها ذووها الى البلاد ، إن لم يكن لزيارة شوق في سبيل الله فللتفتيش لها عن غزال عريس اكرم من جواد اصيل .

اما كامل ، فمن عجب ان اخرج رأسه من لفاعه مثل بزاقة آمنة ليقول بنصف صوت :

ـــ الى « الـكابن » ؟! »

ـــ نو ! نو ! ، اجابت تزقزق متلعثمة بدلال ، انا ساجلب « سامبادي » ، احداً ، ليحملها لي . كان اخي الصغير واقفاً معها طول الوقت لبينما دبرنا انا والماما امور حالنا في « الكيوت لتل كابن » . ولما جئت لاحملها انا واياه ـ لانها كما ترى ،

ياسيدي ، ثقيلة علي - كان قدراح مثل العفريت ، على اللس ، لايبين له رأس من شكل ذنب . نو ، نو ! انا ما قلت انك انت تحملها لي . لا تواخذني يا سيدي ! من فضلك حط عينك عليها بس دقيقتين حتى اجلب احداً او ارى اخي المنعون الصغير . »

ومن عجب ثالث ان اجاب ، مرة اخرى ، وبعض حرارة نبض لم تعرفه من زمان الزمان :

ـــ لم اقل لك باتني ساحملها عنك الى « الكابن » ، يا آنسة . كيف تفهمين انت ؟ عقلك مقلوب او دبس خروب ؟! »

ولكن الغزالة ما اصطبرت على كلامه ولا سمعت اواخره. طارت باجنحة « هرمس » على كعبها ، طارت كاخف النسيم لتجلب احداً يحمل لها الحقيبة ، او لتسحب من طرف اذنه التاعمة اخيها العفريت الصغير .

اما كامل ، فقد كان تعرفه الفجائي المكهرب ، في هذا المساء الساحر بعرض الاوقيانوس ، الى هذا الشخص الانثوي الحي ، بل الوردة الندية في البرعمة ، التي كان سطوعها عليه كما لو انشق عنها موج البحر مزبداً ، مداعباً ، وثاب الرشاش ، كانشقاقه عن عربة الشمس اللاهبة في صعودها تحت جلال الفجر تحف بها تلابيب ابولون طنافس منفوخة لبنات نبتون ، او عن

ولادة جديدة لأفروديته الزاهرة ، او « لا مفيتريته » ذات العينين الخضراوين والفتور الجارح في هالة من اجسام وشعور حوريات الاعماق المجهولة - أقلب بعد لتراب كوامنه من ليلة تعرفه الى طيف الدكتور العبوس المسكين في صفحة كتاب الاخبار الغريبة .

بيد انه لو كان رجل غير كامل وقعت عليه تلك النظرات ، وزلق الى فؤاده عسل تلك الكلمات ، لما ظل على مقعده ثانية واحدة . بل لقام يمشي كالمهموم هنا وهناك وجيئة وذهاباً ، ولحمل الحقيبة قبل ذلك بنفسه . ولو فاتته هذه الهيبه لظل ينظر مدة ليست قليلة ناحية هروب صاحبتها ، او حتى لو كان من أبلد الخلق لقام على الأقل واصلح من دثاره ، وسوّى من شعره او من قلنسوته ، ونكت عليه بنقفات اصابعه المتأنقة ما ليس يعروه من غبار ، ثم ، بعد شيء من ذلك ، لكان عاد بليداً الى سابق تمدده . واول ما كان خطر لرجل سواه ان يسحب الحقيبة اليه ، فيحفظها تحت يده وقدمه في حرز حريز . طبعاً ، لا خوفا على الحقيبة !

لكن كامل ظل جامداً . كل ما كان به حركة داخلية خفيفه ، جديدة ، مريحة . هي في نفسه يكظمها حتى عن

حدسه . وذلك دوم شأنه . يكظم ، يخفي ، يعكس كل شيء في باطنه . يحترق من غير دخان .

انما الآن كأن حرقته التي لا تخبو قد صب عليها سطل يفيض من ماء صاقع زلال . وكأنما برودة الذي لايفتر روي بكأس نبيذ دافيء . وفعل النبيذ ما استولى عليه من دوخة خفيفة حلوة ، ومن دبيب تخدير سرى فيه بنعومة تمايل الباخرة ، عن يمين وعن شمال سلسلياً .

ثم اسلبت على جفنيه نفحات جنوب بليل من مطلع سهيل سباناً هادئاً عميقاً .

وكان تنفسه متئداً ، لطيفاً كالحفيف . وكان قد اخذ يرى حلما .

واي حلم !

الحلم

وترى النفس المفكرة كثيرة اشياء عندما ترقد للنوم .

سوفوكليس

(من درامته المفقودة « تيرو »)

زارني والدجى أحم الحواشي والثريا في الغرب كالعنقود
وكأن الهلال طوق عروس بات يجلي على غلايل سود
ليلة الوصل ! ساعدينا بطول طول الله فيك غيظ حسود

ابن المعتز

ولقد هديت الركب في ديمومة فيها الدليل يعض بالخمس
مستعجلين الى ركي آجن هيهات عهد الماء بالانس
مستعجلين ! فمشتو ، ومعالج نقباً بخف جلالة عنس
ومهوم ركب الشمال كأنما بفؤاده عرض من المس

رجل من بني بكر

رأى فيما يرى النائم كأنما هناك ثلاثة فتيان شرقيين في مظهر وسلوك الطلاب ، وأحدهم كأنما هو اياه .

كانوا يتعشون في مطعم صغير كالوكر ، مكانه في قبو عتيق ، مسخم ، ذفر معطر من شواء اللحم بدهنه ، وأصابع المقانق ، وشرحات القارورمة في السفود ، ومن نكهات المكابيس ومتبلات الفول والباذنجان والسلط الحامية من الخضر والحمص المصلوق ، يجلله ويخفيه عن عين السماء الواسعة منظر متشابك فتان من أعمدة المآذن وصلعات القباب ، تسبح ما بينها قلامة

الهلال كمركب الحلم في بحر كبير ، وسطور النجوم عليها غبار الماس ، وبقع الاكوان بخار الزئبق أو عسكر مكسور ، والكل يتمنطق باثر وابواب نازلة من السور المهدم في أقدم مدينة كالحال قيل انها على محيا البسيطة .

وكان يراه - قبو ذلك المطعم - مطلا كعين جاحظة من مؤخرة عمارات لبنية خشبية متهرئة على نهر عكر ، عفن ، اخضر لبني ، تطهره حدة ضحكة شتائمهم سكارى شهاوى ، يلقونها فيه سائحة معه بدربهدية الى الجامعة ، نفحة شوق وقبلات طيارة الى اساتذة كلياتهم فيها ، صمد الهام المعتبئة الموشاة بعقود التعاليق وقلائد الحواشي على جيدانة شروح الهواميش .

ثم ، في لمحة البصر ، رأى الثلاثة بمطعم آخر ، أنيق هولاندي الزي ، مجلي ، برائحة نظافة كالتي بالكتان الابيض المغسل ، المثيل ، والمكوي بالنشاء . صغير كالمسامة فيما يحيط به من دنيا ذات عماد ، وبيص بضوئه ، مثل عين زجاجية ، على شارع عامر في جوف مدينة بابلية هائلة لو رآها صاحب الرؤيا لعناها بالتنين بديل رومة نيرون والمنتظرين ملكوت مهدي مسيح .

صدعته هذه ، وهي ذات صروح وابراج وجسور شريانية ، تحاكي بمجموعها شبكة عملاقية من جدول الخطوط كالعضلات

العظيمة ، والجبال المفتولة من معدن لامع ، في مشهد ماردات بيوت لعنكبوتات ماردات ، جعدبات هزازة ، نفاخات ماء وهواء ، تنفث حركتها في جو تطوف به على شاشة النظر ، وهو في آن ليل ونهار ، جزر الانوار ليلاً ، ونهاراً نسمات تتكثف من غيوم بخار ودخان رئات حديد ونار . طوال الوقت تجكجك وتقعقع ما بين تلافيفها ، وهي تفرقع جداً ، جداول من قاطرات قاتمة او فاحمة ، تنساب فرقاً من شبه وطب او اكياس أذناباً لرؤوس ، تنساب تجلجل في نفق من هديرها مثل سلاسل منظومة من بيرت دود القز ، على الارض ، وتحت الارض ، و في جوف السماء .

تلك المدينة كانت صفوفاً ممتثلة وقوفاً من جلاميد مخلوقات تيتيانة ، واخوة لهم في عجائب الجان من اولاد اورانوس ، لا تني تناطح اعالي عليين بنظام . ضئيلة امامها احجام حيتان التصورات السميكة . و رسوخ صخرية الجبال التي لا تزال في فتوة زمانها وبعز الشباب من عمرها خفيف منها ، واقل صلابة واشمخراراً ونتوء حدود قاسية في زوايا وشفار كانها قاطعات الماس من فرط ما توحي قوة التجريح . كانت العظمة الآكلة تفخت الاجواء ، منفلقة عن نفسها جبابرةً ، واسناناً

وأضراساً ، منطلقة كالاصابع بها انتفاخ او مربعة من قوالب الزبلينات وافران الصواريخ ، ارواح السرعة الخفيفة القوية ، سهام دماغنا في بطون الالهة وفراغ الكون .

بل منطلقة من ارض قد يكون ذراعها المكعب اضيق من مقعد في الجحيم ، وأغلى من الجوهرة الكبيرة في تاج امبراطور أو عمة مهراجاه .

خرجو الى الشارع وطابع الدنيا على جباههم اللدنة معتم مثل كسفة هم ثقيل . هذا يندب حظه النحس سخيفاً ، لانه يريد أن يقع على محبوبة لم يجدها بعد في سهولة النحلة على اطيب زهرة . والآخر بسماء أرميا الحزين لان ليس بينهم عروس خيال له غريبة تشاركهم في كل خشوناتهم من احاديث وعواطف ودموع طعم السكر فيها كطعم الملح . وثالثهم همه ذيل لهم يتبعه في علبة سجائر « تطلي سترايك » ، وليس في جيبه الواسع من قطعة الفرنك ثمنها سوى شبح بصيص صفراوي

يتراقص كذكرى لزمن الخير كأنه الذي في جراب ام موسى من امل الخالي . واعظم حزنهم لسينما لماعة الوجه او « موزيك هال » مخنث سخيف النغمات ، يبصان اليهم بعيون غاوية لعينة ، لكن سبيل نظافة الافلاس الشريف غير الصراط المستقيم الى هذه او تلك منهما .

هيهات لايهم من متعة غير ما يتصور بنفس محتبسة متأففة عن « دولشينته » ، ملكة قلبه ذات الصدر الصغير الناهد ، يتململ تحت حركة النفس المعطر ، و وجيب الدم الدافيء ، بلين لطف وحنو وانسجام . وهيهات لايهم ان يلقاها في مأواه الغام توسع من ضيقها وتبدد في ظلالها الثقيلة ، فتكون منتظرته بلهفة مدلهة ليسند عليها ، في منبطح لدن بين حقوين رجراجين ، رأساً منتفخاً بابخرة من خفيف هموم الشباب ! وهيهات لايهم ان تدغدغ اديمه المتلبد فترعشه انامل من تلك السعادة القديمة التي تبعزق اكسيرها الساحر في غير مروج خيالهم ، وتنفخ نارها المفلفلة في غير عواطف هيامهم الوحيد الطرف ، لكن تبقى مع ذلك السعادة المتمنعة التي يتمطون اليها بايد واعناق تكهربها خفقات حنين مذيب ، والتي تدير هي لهم جوابها ظهراً صفيقاً عنيناً ، يتفشى منه سراب بحر من ريح ،

خانق يئن حزيناً حزيناً .

لذلك ظلوا في حلمه على حالهم . يمشون في الشارع واقفين ، فلا يتكلمون ولا يتحركون ، والارض تطير بهم الهوينا ء طلوعاً ونزولا كعربة العيد المزوقة ، الى ان باتوا في مقهى عربي كالكهف المصنوع ، لزق المطعم الزنخ الصغير ، في المدينة العدملية ذات المآذن المحصرة النحيلة والقباب المفلطحة البطيئة ، تعلو فوقها ثنتان او ثلاثة هائلة الحجم ، تيمورية تترية مثل أثداء كبيرة ، ناهدة ، فتية ، صلبة كذوات الابكار ، بديعة النحتة ، شبقة اللفتة ، مقورة بحلمات كبرعمات فوق صدر بلاد جميلة .

وكان يعطر الجو سماور من صفر ، لماع ، عظيم ، كالدلفين الواقف على ريش ذنبه ، تحف به مجامر ند وبخور كالاقزام المحبة الطووعة ، وكما قال الشاعر :

اذا فار ما بين السماور ماؤه ... سمعت له انغام ناي ومزهر
كأن كؤوس الشاي بضع نواسك ... تحيط بمعبود من التبر أصفر
وتفتح فاهاً بالدعا ، فيجودها ... بذوب لجين او بدر مقطر
واحسبها حول السماور تارة ... بنات مجوس قد أحطن بمجمر
وتحكي لنا ، مابين بيض صحونها ، ... تماثيل در في معابد مرمر
وابريقه فوق السماور مرتق ... كمثل خطيب جالس فوق منبر

يفوه ، ولكن في عقيق مقطر ، وينطق ، لكن في كلام مصور
سماوره يبدو كشيخ معمم من الصين يزهو في رداء معصفر

وفي الجوانب والمداخل مجالس جلد ذات كبرياء كالتخوت الكسروية ، أرائك كدواوين الحمامات ، امامها اقار طاولات صغيرة من نحاس ومن معدن ابيض ، مجلوة ، تبرق مثل مرايا متبرجي الاقدمين او كتروس ابطال الاغارقة السابقين. والسقف تعلقت به فوانيس زجاجية الوان الوان ، حتى اصبح شبه واجهة معلقة استعيرت من حائط داخل كاتدرائية عبوس . يزيد في ابهته والخوف من سقوطه انه يتموج كصفيحة كرتون ، دانياً حانياً فوق رفوف فرشت بورق الطيارات ، وصفت عليها قطرميزات السكر والقهوة والشاي وراحة الحلقوم والنبـاك ، تواكبها من كل جهة كتائب زاجيل مزخرفة جميلة نزعت عنها نباريجها ، فكأنها الضباط من حول عسكر التوتو ، مكسورة الخاطر جداً اذ نزعت عنها الكشاكش والسيوف ، وحتى البيارق !

جاءتهم فوق محفة تتلوى ما بين كتف وكتف اسمر معنون الحركات فهوة عدنية بماء الزهر وحب الهيل ، ومعها نارجيلة كبيرة بثلاثة نباريج تلعب في مائها أوزات مصبوغة مذهبة من شمع ، وزهور قرنفل وياسمين مع بنفسج و ورق ريحان .

واوسل احدهم بالاسمر المعنون الى صاحبة النزل لكي تعنون اليه علبة الحلويات ، وقد كان جلبها من عند ارفع حلواني عربي في المدينة العنظلية الهائلة ليهديها استاذاً له ذا بطن وذوق يحب بهما كل الوان القطائف والكنافة ، ولكنه ما عتم ان قرر اكلها عنه بالنيابة . فلما وصلت اعلن الثلاثة عليها حرباً بسوسية شديدة ، آخذين في الطعن والضرب ، والكر والفر ، والخير والشر ، حتى ابادوا العدو عن بكرتي امه وابيه ، وهم واياها في ذلك كما لو كانوا رياح الصحاري وكانت من حلاوتها قوم عاد في عاصمتهم الابريزية ارم العماد ، انتقلوا اليها في معركتهم يوم انتقلت بنفحات من غضبة الله ولعنة الشيطان من عالم العمران والبنيان الى مراتع الحوريات والجان ، ليسكنوا هناك امواتاً سعداء في قصور الجمشت والماس ، في فراديس تزدان بزبرجد عشبها ويواقيت شقائقها ، ومياه جعافرها والندى عليها فضة جامدة ، وشمسها ذهب ، باردة ، تغتسل في بحر نيلة فاتحة ، والقمر صلعة

الشيخ عاد البلاتينية ، اذ يقف على نجم من فوق فلا يبين منه لقومه سوى جرد رأسه اللامع كطنجير المبيض غب قصدرتها ! وهكذا مجاري الاحلام !

ثم خيم على الثلاثة هدوء صامت كانما حط على رؤوسهم طير الاقاصيص. اذ ذاك شق حجاب السكوت صوت واحدهم ينفخ في الدخان ، ويسأل كشيخ متفلسف لا ينتصب له شعر لقول :

— اين الآلهة ياصحبي ؟

فارتجفت النارجيلة في هزة عنيفة كادت تتجندل معها مصروعة ! لكن كانما كانت تدرك مبلغ خسارتهم لها ولذتهم بمثل هذه الساعة فيها ، فشدت على اوتارها بقوة وشهامة جان داركية ، ورفعت رأسها توازن به جسمها ، ثاوية بعد ترنحات حيث كانت : عروساً حسناء وديعة ، قائمة على حيلها و ذات قرقرة ، لا تمل تحديثاً باخبار الانس والجن .

ثم اجاب ثان فيهم بثرثرة الحلاج :

— ما في الجبة الا الله !

فأخذت الثالث حدة الاعمش ، واسبطر يصيح :

— ليست من آلهة !

— بل هناك من اوجدوا !

ـــ كلا ! العدم غير قائم !

ـــ برهانك ؟

ـــ أمن معلول بلا علة ؟ هي الآلهة علل العلل !

ـــ والعلة ، علك الله ؟ أمن غير علة تكون ؟

ـــ واذا كان الشذوذ عن طبيعة كل شيء ندركه قد نتصوره في موجبات واجبة ، فلماذا لا نتعقله في الطبيعة لكل شيء فيها ، وبالتالي شيئاً مثلنا ومنا ، كما كان يفعل الاغريق النيرون . ومع ذلك جعلنا آلهتنا شبيهة بنا في كل شيء ، الا في عدم لزوم الولادة . ولكن هل ولدت الا معنا ؟ وهل جاء « ابن الله » الا يوم تصور للعبودية ان تثور ؟

ـــ اليس للميكروب نفسه ميكروب يأكله ؟

ـــ وميكروب آخر الميكروب ، أتأكله الآلهة ام اشارة ميزان الحرارة ؟

لكن هنا نفث فاتح الحديث نفخة أخرى في الدخان ، وارسل بالسذاجة نفسها :

ـــ ما الحرارة ؟

فما انتبه احد لسؤاله ، حتى ولا هو . بل ردد واحد قول فولتير :

— ان لم يكن الله بموجود فالواجب اختراعه .

— كلا ، صاح مجدف كالقرد الثائر ! الفكرة ، الفكرة الآلية ، جانية . اخترعها الانسان المجرم ايام بربريته .

— ولكنها قسطاس الخير والشر . والارباب تطورت وصارت الرادع الاخلاقي. فان اخترعها الانسان المجرم فليبرر بها عمله ، وانما الالهة من مخلوقاته عادت فجرمت صورها العليا نفسها . وذلك لانه كذلك .

— أي رادع ، قال الآخر بلهجة مدعٍ عام لسن شديد يلحق ذنوب الناس حتى القعر وليس حتى من يخطر عليه بأن قد يكون له ذنباً — اي رادع أخلاقي هذه التي جعلت تعلم الناس بتبرير ما يعلمون من ظلم وقسوة وكره سائد بغابة اشمئزاز ؟

« اي رادع بصور مشخصة ساذجة يلصقون بتلوناتها كتابات معصومة يؤلفونها فنية في تلك المواضيع ؟ اي رادع او وازع او تناسق في تجسيم عبادة كل العذاب على انواعه ؟ آلهة صنمية وأنصاب عتيقة : تخرج ، وتفعل حتى ، كل ما نقترفه نحن أو نبرأمنه جبراً أو اختياراً : الموت ، المرض ، النفاق ، الفقر ، التقهقر ،

النهب ، القتل ، والكذب . ويُزعم عليها انها ترمي البشر وهي عاقلة في قاموس من كل هذا ، ثم يقال لهم : « لا تقتلوا ، لا تسرقوا ، لا تظلموا » . أي وازع فيها ، او في سعالي مرسومة تخاصم اهل النقص والضعف الذين هم منها كذلك ، ثم تفني أو تحرق هؤلاء الخصوم في عماء او في سعير دائم ؟ هذه مزاعم ، يا سادتي ، مزاعم واوهام واهمين ! هل تلك الآلهة ، كيف كانت ، مناظر الجثث تشوى ، ورائحة اللحم البشري تعبق ، والانسان ، هذه الحشرة السخيفة ، تتلوى من عنيف الالم كتلوي دودة تدوسها . ان اناسا منا اذا كانوا اصحاب ارادة وفعل مثل هذين لكما قال ابن الراوندي بأعظم جرأة : سفهاء غير حكماء ، فما بالكم بتهاويل الغيب وأصنامه ؟ هل تستحق فكرات سيادية ماضية كهذه ، ياسادة الحاضر المثلين ، سوى ان نحكم عليها بالعذاب الابدي في اتون الكبريت والنار ، بوادي الطاعون والزقوم ، حيث اعد عذاب ابدي للحشرات الخاطئة امثالنا ؟! أنا اطلب هذا الحكم عليها . ذلك لكي ترتاح البشرية المتألمة من أذى شرورها واوهامها نفسها . وضميري ، احم ، الى ذلك مطمئن ، احم احم احم ، لاني رزت جميع القضية بكل اناة ، ووزنت وزناً تاما كل سبب مخفف قد يكون بجانبها ! لا اصلاح ولا اصلاح ، ياسادة ، الا بان يرى البشر وجه هذا الاجرام المنعكس عنهم ، ويذوقوا طعمه الذي

خلقوه منذ حقب طويلة في عليا مثل لهم . فهي ضميرهم وفعلهم هم وحدهم نبتت شجرة خبيثة في الجنة وأينعت اثمار لها في الجحيم ! »

وهنا سكت الفصيح . ثم تناول رفيقه علبة سجائره ورسم عليها بعقب قلم رصاصي صغير مضوغ صورة عظيمة الجثة ، غليظة الهامة ، كثة الشعر ، اختلطت من صاحبها الخصلات ، منحدرة من الرأس والعارضين كالسواقي ، في فوضى وعمه وكانها من ملح وفلفل ، وغارت في جبهتها الضيقة طولاً وعرضاً عينان صغيرتان ، طاعنتان ، غؤوراً مظلماً كانما كل الظلال الكالحة في الكون كانت منعكسة في بريق بؤ بؤيهما .

ثم اخذ ثالثهم عقب القلم منه و كتب فوقها بخط عريض :

فكرة

اذا كانت موجودة او مخترعة فالخير ليس كالشر!

فعلق عليها النافخ في الدخان بغمغمة لم تكد تسمع :

— ما الخير ؟ ما الشر ؟ أمن نور بغير ظلام ؟ وما النور وما الظلام ؟...

ثم وضع علبة سجائره في جيبه ، كانما يشير الى ان

طال علك مسواك الكلام، وآن ، ياسادة ، وقت النوم ومواصلة الاحلام!

بيد ان حالم هذا الحلم ما لبث ، بعد مشهد او مشهدين من خضرة اشكال الغابات وفوح المستنقعات ، ان عاد فرأى الثلاثة اياهم في المكان نفسه ، ونفاخ الدخان يحدثهم باغرب الامور . قال :

— كانت الوحدة مساء امس ، بعد ان تركتكم ، من حظي ، وهي نادرة لي في اوقات الصحو ، اذ انتما دائماً من خلفي كهمي او كلب الثلاثة الشهيرين . كم كنت سعيداً . فالوقت كان لما يزل باكراً ، فأويت أكمكن الى غرفتي الكئيبة وانا برغم انفها يداخلني السرور لما زينت لي من فرصة اكون فيها حراً بعيداً عن كل اذن وعين ، فاتمطى كالقط بكلي كيف شئت ، واتصرف بيدي ورجلي ورأسي حسبما اهوى . انها بضع ساعات امتدت امامي كنعمة عمر غني من الدهور . خلعت ملابسي (كانت ملابسه ، كما دعا عليها متهكم ، من تنك هذا الذي روجها) ، واعددت نفسي لاحيا مع مخلوقاتها واصدقائها ، ليسامرني اناس ليسوا مثلكما اخلاما في البلادة ، بل يجتمعون علي من اذكياء وشياطين وشذاذ كل بلد وجيل . وددت ،

والحق ، لو اتيح لي قضاء العمر عائشاً في قصر هذا القلب المسكون ! فلو كان لي برج من عاج وآبنوس شغل الخزر والهند ، ويزقزق في وكناته الف طير عجيب التريش ، وتعمره الف جارية مجدولة مهفهفة سكوت ، لما فضلته عليه !

« غرقت في مقعدي مثل حشاش مأفون ، ادخن نارجيلة اعدتها لي صاحبة النزل . مددت نفسي مستريحاً ، وتناولت كتاباً ملقى على البساط . كان الكتاب يتحدث في شعر فاتن عن قصة أويديبوس ، الملك الاغريقي القديم ، عن تلك الواقعة الشهيرة الفريدة في بابها التي رتبتها الالهة فاجعة محطمة لذلك المشئوم ، فقتل اباه وتزوج امه من غير معرفة بما اقترف من هول ، ثم ارادت مؤاخذته على ما علمت ولم يعلم من جرم ، فحررت له حادثة اخرى ادرك بها ما جنته هي بيديه الملطختين ظلما ، وقاصصته فوق ذلك بأن افقدته بصره ، وطردته من بلده ، وأسكنت في قلبه جمهوراً يطن من بعوض همومها ، وخصت ذريته البريئة باللعنة الابدية .

« تأملت حول هذه القصة التاعسة وعيناي غائصتان تمعنان بي بعمق ، عالقتان بالجمرات التي كانت فراساً بين الرماد الناعم في قرص التنباك كحبب من قرمز في تبر ولجين ، وتبص كاليواقيت متوارية في ضفائر امرأة ذات شعرات شائبة وحزن

فاتن . وتأوهت عن حرة قلب ساحبا بنفس متراخ شحطة متوانية، ملاعبا الممصة بشفتي كطفل على ثدي يرضع ، وامامي اهلة حليبية وباهتة تخرج من فمي ومن رأس مساهرتي . تتصاعد في جو الغرفة صافية ومعكرة ، بتكاسل وتباطؤ ، متثنية كالرؤى المبهمة ، متقلبة من شكل الى شكل . فكانما لدي عرائس خالعات الوشاح تتهادى في رقص هادىء موزون على نغم ترنموتة جنية ، لا يلبثن يتبدلن الى حلقة مرحة من العذارى والفتيان وقد اتشحوا بانسجة فينيقية وشفوف خفيفة ، وتماسكوا بالايدي متواثبين عن لحن ناي يسيل شجواً ، ينفخ فيه بخدين محمصين راعي تناثرت عنزاته في هذه المرجة الخضيلة من ربوات لبنان الذكية . وهكذا ...

«... حتى دارت بي الروئى دورة مبهمة مشوشة . فأشهد فيها تارة وجه افلاطون في اطراقة تمثاله ، او عينين غزلين في لحية غضوبة شعثاء لابي الطيب . وتارة ينتصب تحت نظري برج كمسلة ايفل ، او اسطوانة عليها القديس سمعان وتحت تفاتت بزاق

وعظه حشد الحجاج والتائبين لا تبين اواخره . ثم لا يلبثا أن يكفنهما ضباب أزرق ليعودا الى الظهور كاهرامين من الجماجم ومن اشباح الخلق ، يصعد على احدهما ، تحت وابل حجارة من سجيل ، اعرج قميء يكره البشر ، وعلى الاخر ، في عاصفة من اوراق البنوك المصبوغة ، قنصل قندعل صغير يطلب النجوم . مرة أرى شخصاً فولاذياً نحاسي التبرات ، يخطب على الاكتاف في غابة من الرؤوس السوداء بعدد الرمل والحصى ، ومرة لا ارى سوى فراغ سحيق ينفث اصداء عواء ، وهواء بارداً عفناً كهواء القبور . وجميع هذا يضمه ذلك الوجه الجميل ، الالهي ، الكامل ، وجه معبودتي ، وجه روحي .

« من تانك العينين فيه كان يطل بوذا و أوريبيدس ، وفي ذلك الذقن الدقيق الناعم كان يرقد أبله وذات جرب يتعانق عليهما مار فرنسيس والعدوية . ما بين شفتيه المعصفرتين بضعة مخلوقات سادرة من الهام ميشيل أنجلو ، وفي خصل الشعر المشمسة ، المتموجة ، المتفشة ، الثائرة ، واحد كانبياء بني اسرائيل ، ذو رأس فخم ولحية عظيمة تنام على صدره الكبير وتختلط شعيرات اطرافها بمداد صحائف يسودها مهولة الافكار ، ضخمة على بعضها ككتاب مقدس . و في أذنها كان ابيقوري معاصر

مطرقاً يحلم حلم فيلوباتريس على الحجر الابيض ، وفي الثانية بن هانيء يعاطي صديقه رجاء النائبات كؤوساً مترعة ، يعصي بها نكاية وقصداً جميع جبابرة السموات والارضين !

« ثم تلاشى الوجه فجأة ، اذ أفقت على حقيقتي من قرص بقة دامية كانت تمرح على صفحة ظهري مثل لص اغتنم فرصة غيبة اصحاب البيت . ولما عركتها وارتحت من اذاها عاودت وصل الساهرة ، فشحطت بروح طويلة انبثق معها منسلتاً من رأسها الفخاري مخلوق ممشوق مدهش . أحمر اللون ورسيه ، ذو قرنين صغيرين وذنب يتدلى حول رجليه من اسفل سيسائه ، وبلحية رقيقة كالمثلث الطويل شبيهة بسبلة تيس في فحولته ، كان يبدو عليه سيماء الرأفة ورقة القلب ، وفي عينيه غمزة لطيفة الخبث . وحانت مني النفاتة الى الكتاب ، فاذا ، ويالعجب ! تنشق صفحته وهي تغني :

حن الحن مجنون الجن
بيعن عن عن بيطن طن طن
طن طن طن
طن طن طن طن

ويطلع منها ، في اثناء ذلك ، نمرود ضخم اجتمعت عليه

معاني الشراسة و منظر ضيق العقل ، حتى بان « كوبلهيتس » خرافي من ولد اضراس التنين، يشبه تماماً تلك الصورة ، « فكرة » ، التي رسمتها على علبة « التطلي سترايك » !

« ثم تناول الاول منهما العلبة من جيب السترة المعلقة، وقدمها لثانيهما وهو يقول :

« ـــ خذ ، ياهوهة ! خذ الحكم عليك !

« فتناولها الآخر وتأمل فيها قليلاً . لكن ما لبث أن أحمر وجهه بالغضب والشر ، ورفع نظره الى مخاطبه وهو يهجهج بسيماء أنوك هلباجة ، ويتقعر بتهدج مرنان :

« ـــ ما الذي تراه عيناي !

فتخشخشت الصفحة من جديد وأنشدت قراراً بلغة العرافات:

عجبت للجن وتبحارها ... وركبها العيس بأسفارها
ما مؤمنو الجن ككفارها !
فانظر بعينيك الى نارها !

عجبت للجن وتطرابها ... وسوقها العيس بأذنابها !
ما مؤمنو الجن ككذابها !
فاحذر ذبابين على نابها !

عجبت للجن واعراسها وحلبها العيس باضراسها !
تهوي الى مكة تبغي الهدى تعلو بحكة نحو المدى
ما مؤمنو الجن كارجاسها
فاضرب سديسين باخماسها
وأطرق جريسين باجراسها
و أسم بعينيك الى راسها !
راسها ، راسها ، راسها ، راسها !

عجبت للجن بشيطانها و وهمها اياه كلقمانها
عجبت للجن بابليسها و رفعها اياه بترئيسها
ايسها عيسها ، عيسها ايسها !

« وهنا سكتت . وربما ما كانت ربطت لسانها لو لم يقذفها الهوهة بالعلبة التي في يده ، فنامت في بطن الكتاب والاخرى فوقها قاعدة ، سجارُها مذرورة عليها كالاصابع .

« تتحرك كالاصابع !

الحوار

أجل ، فى الصحراء شيء مسكون للحرية .

شلي - في « انتفاضة الاسلام »

نغمة لفتة العكس — زهرة فرسان العربية الجوالين تندبك يا بروميثيوس !
بروميثيوس — علم بروميثيوس البشر الفانين جميع الفنون .
قوار — اعمل للناس خيراً ، لكن اعمله متحذراً. فلماذا تؤذي نفسك ؟
بروميثيوس — لست ارى لطول آلامي المملولة نهاية حتى يتجندل زفس عن دست سلطانه المغتصب.
ايو — واية يد ستنزع من زفس الصولجان ؟
بروميثيوس — عقل زفس الفارغ نفسه ! ...
هرمس — ياسفسطائياً ماكراً يريش سهام الكلام مريراً، جدمرير، ضد الالهة !

من ايسخيلوس في « بروميثيوس المقيد »

✻ ✻ ✻

بروميثيوس — لا اريد ألماً لشيء يحيى. ألا اشفق انت على محتقري نفوسهم ، عبيد السماء ، لا علي.
الهوجاء الثانية — ايها النمرود الخالد !
الهوجاء الثالثة — بطل ارقاء السماء !
نصف القرار الاول — مئة جيل مرت وكنا فيها نهدهد في روعي من كره وهم ، وكل من منا أفاق فما اخوه ينام وجد الحقيقة ...
نصف القرار الثاني — ارذل مما كانت روؤه !
نصف القرار الاول — باستمرار ، وسرعة ، وشراسة ، وحرية ،
مع الارواح التي تشيد ارضاً جديدة وبحراً تكون ،
وجنة حيث لم يكن يمكن بعد لجنة قط ان تكون .
الارض — ايتها السماء ! اعندك اسرار ؟ فضحني الانسان !
القمر — انا ورقة بك اهتز .
صوت من فوق — جمهور ربتنا العظيمة تسمع (يا ديموغرغون !) فنحن مباركون ، ونبارك!

من شلي في « بروميثيوس الطليق »

✻ ✻ ✻

سايكلوبس الجني — يا شقياً بغيضاً ! اين انت ؟
عولس — بعيد عنك . فاني اهاون جسم عولس هذا بكل اعتناء .

اوريبيدس – في درامته عن « السايكلوبس »

في ليل صول تناهى العرض والطول ... كانما ليله بالليل موصول
لا فارق الصبح كفي ان ظفرت به! ... وان بدت غرة منه وتحجيل
لساهر طال في صول تململه ... كانه حية بالسوط مقتول
متى ارى الصبح قد لاحت مخايله ؟ ... والليل قد مزقت عنه السرابيل؟
ليل تحير ما ينحط في جهة ... كانه فوق متن الارض مشكول
نجومه ركد ليست بزائلة ... كانما هن في الجو القناديل
ما اقدر الله ان يدني على شحط ... من داره الحزن ممن داره صول!
الله يطوي بساط الارض بينهما ... حتى يُرى الربع منهما وهو مأهول

مندج بن مندج المري

« أما القاذف فعاد يهدر بكل قواه :

« ـــ ما الذي تراه عيناي ؟ هه ، هه ، هه ! أنت ياصلادم الشعراء ؟ أنت امامي ، أنت الذي ، لما امرتك بالسجود لمخلوقي البديع عويدم ، ابيت واستكبرت وتعنفصت تقول : « أيسجد روح لوحل ؟ » ، ثم زدت في الافساد والافساق بما انتشر على لسان شاعرك الزنديق :

صلدام خير من ابيكم عادم فتنبهوا يا معشر الفجار !
صلدام من نور ، وعادم طينة والشمس معبودة مذ كانت النار !

« لشد ما تغيرت علي ، يالعين ! كدت لا اعرفك . لكن كيف ـ كيف تجسر على الوقوف في وجهي ايها الرجيم ؟ أنسيت مني جلالة شديدة غضبت عليك فاهتز لي العرش من فوق وسقطت حبك النجوم كالنبال والحصى فوق رؤوس اهالي الارضين ومخلوقات الاجرام المسكونة ؟ »

صلادم

من جهتي أنا ، فقد عرفت رأساً هذا الهوهة اللوسيفري البعل زفس ، سيد الاجاحيم وركن الشرور ، الذي اراه امامي ! بيننا الفرق ، يا سيدي ، أنني أنا شاب حي وانت معمر متماوت : فاعرفك من وجهك ورائحتك ولا تعرفني الا بحركتي وصوتي ، الا بتطاولي عليك وما في كتب الاخبار من الاغاني عن اعمالك وصفاتك التي تدلك علي نقيضاً . أما مخلوقك الرقيع عويدم ، فدعنا الان من ذكره ، اذ أكاد اقيء على سمع اسمه فحسب . لكن لماذا أنت متغير شائخ الى كل هذه الدرجة ؟ فما افترقنا الا منذ ستة الاف حول ، وها انت كانك كبرت على نظري ستة دهور . ألعلك لا تتطور مثلنا سنة فسنة ؟ بل نحن ، ياسيدي ، نتغير في فردوسنا كل ساعة شيئاً ولو ضئيلاً عن التي قبلها ، فنقرب بذلك من كمالنا ، منعتقين عن صورنا العتيقة رداء

بعد رداء مثل تجدد جلد أفعى جميل . أما أنت ، هم ! يظهر ان بذرة الحياة معدومة فيك . فأنت ما تزال على ما كنت اعهد بك . ها انت بقضك وقضيضك كما كنت حتى من ستين الف قرن : هرم كليل النظر ، باد عليك يبوس الدماغ . ليس بوسعك التجدد والنمو في دوم الشباب ، فخرفت ، وظللت كذلك بل زدت كثيراً على ما كنت عليه يوم تلاقينا الاخير . اما جرأتي على المثول في حضرتك فانت تعرفها قبل اليوم .

الهوهة

اغرب ايها الاله الكافر المنحط ! عد حالاً الى آتونك قبل ان تمحق كبصقة . عد واشو احياء من جدفوا علي ومسخروني ، ومن خطوا عني سفاهتهم مارقين ليبلسوني . عد... سأحرق، ساذبح، س ... س ... سسسسس ... ساشم رائحة شحمك بذهنهم الذائب !

صلادم

ايه هوهة العظيم ! قف واكفنا من هزجتك ! اسمع مقالي او اذهب في سبيلك . واما كلامك وشكلك هذان فيحببان الي ان احشرك في زجاجة هذه الناوجيلة حشرة الجني في قمقم سليمان . انك ترفع صوتك جداً حتى لتكاد توقظ هذا الفتى التعس كامل من نومه لهالج . كفاه ما اصيب به من بؤس تفسخ

النفس الكليلة حتى كان مأساة حمقاء من مآسي ظلالك الجحيمية على الارض وفي العقل البشري . انه واحد طلاب ثلاث . احدهم ظله يصير طبيباً ، والثاني قد تسمع به ثرثرياً يقال له كسبة اديباً ، والثالث تلميذ حقوق وتاريخ ، يعرف عنهما ما شئت منهما ، ولكنه بدون حقوق له و فارغ التاريخ . لقد اجتمعوا هذا المساء في دماغ كامل المحموم ، وكانوا يتجادلون عني وعنك ويسموننا « العلة » ! وبعد كثير الكلام شعروا بأن البحث هراء ، وان العلة معلول والمعلول علة . ولا شك عندي ان مكث العلك عنا ، وخصوصاً عنك ، لسقيم . اذ ما تركيب الخلط الطويل علينا الا ألهية اجتراء لذوي المعدتين من الخليقة . ولكنهم شباب ، والشباب على الاقل هانيء بال عنواناً ، فيستطيع حوك اوهامه ، ويستطيع النحاف نسيجها البارق من فرط انضغاط الحياة ، ويستطيع ان يفعل كالمحابيس ، فيلعب دور الحكام تمثيلاً وتهريجاً ، يحاكمها ويحاكم كل شيء ، وينصب من كل منه خشبة قاض أو تمثال موظف ، ويحاكم نفسه سلفاً قبل التجميد امام الهيأة الجليلة الحليلة . واخواننا هؤلاء أغرقوا في هذه اللهوة الدميمة ، فرسموا السعلاة التي رأيت ، وخطوا الكلام الذي قرأت ، وهم يعنونك بكليهما . ولكنهم نسوا ان يضعوا للهوة كتاباً بائخاً في يد ومعاً في الاخرى .

على كل حال : أنت ترى ان دولتك تدول وبقاءك فناء متثائب . حتى نور الخلود يخبو لونه عليك . بل لعلك لا ترتجف ان اخبرتك ان الانتخابات تجري ضدك الان في مملكتك !..

الهوهة

قف ، ياشرير ! قف ، او اعصر احشاءك من فمك ! ماذا تقول ؟ ارجع الى الاتون ! ماذا ؟ انت في فردوس ولا تنفذ ارادتي في عبيدي الخاطئين ؟ و الانتخابات ؟ ما هذه ؟ وانا ثوباء الفناء ! وخلودي يعتم نوره ! وضدي ، الانتخابات ضدي ! ما هذه الحوشية الوحشية ؟! حنح ، حنح ! ودولتي تدول وثرائرة يقاضونني ! ايها الملعون من الطسموت والفطسوت ، ستراني أفقيء رأسك وبطنك معاً ! ساقور احشاءك ! ياجلالتي ، ياجلالتي ، اسحقي هذه الدويدة النتنة !

صلادم

عل عل ! اسمع هوهة ، ماهذا الاتون الذي تحدثني عنه ؟ آه ! تذكرت ! انت تقصد آتون الجحيم الاول ، ذلك الذي حكمت علي بايقاده الابدي يوم الغضبة علي . لكن قصة الجحيم الاول هذه اعجب قصة ! فانا ، ياعزيزي ، ليس عندي شيء من خرافة آتونك التي ينشرها عمالك بين الناس ترهيباً لهم . أجل ، ان هي

الا اسطورة مؤذية مثلك . انما الذي عندي فروضة فينانة فيها فسح ظليلة وحديقات حديقات، تسقيها عيون ماء عمام لعوبة فوارة، تتدفق اما من خلال صخور وحشية تضطجع بين الطحلب الناعم الرطيب وزغب العشب الخضيل في فيء اجمات كثيفة ، منمقة بقطرات النور تتحرك مع رقص الصبا ، واما من نوفرات فسقيات رخامية وبرك مرمرية على كل نسق ساذج فاتن، من اغريقي البياض والرقة والانسجام ، او عربي الزخرف والالتفاتة زبرجي الديابيج ، يتسلق عليها ثمام العرائش الخضراء في لفيف من الصبغاء والفشاغ، وبدوالي متهدلة من كل نبت جميل غريب الزهر والورق ، متعانقة متناثرة من حول الجذوع ووارف الاغصان على غير هدى ، في فوضى وعمه الحب الطبيعي، الصامت، العميق . وجعلت بعض فسح وحدائق روضتي مخصصة لاسمى تعابير الحياة في ابدع مخلوقاتها . فمنها للعلم والحكمة ، ومنها لكل عمل وصنع وانتاج . وأخريات للرقص والموسيقى وجميع الفنون الرفيعة ، وسواها للراحة والعبث والثقافة والتأمل ، وسواها لا عديد لها مذرورة على كل شكل بين ادغال ساحرة ومن حول اكمات زابنات تنعرج عنها وديان تنبطح في لين تلفتات ، لا لشيء الا لرغبة من احب الوحدة في الطبيعة .

في روضتي يدخل كل من يخلص لعيش فردوسها من انس وجن مهذب ، كل من لا حيلة في طينته ممن قلبه الوحش الصرف ، لدغه به الثعبان حارس اجتمك أجمة عنب المجانين ، تلك التي لقبها بعض ملائكة الشياطين « بحشيشة الجريمة » ، وخالفهم خنس آخرون بتسميتها « شجير الجهل » ، لان الجريمة هي الجهل امها وبنتها . ولو اتيحت لك الآن زيارتها لتكحلت عيناك بمرأى جميع من طردهم عمالك وحجابك عن ابواب ملكوت جهنمك السقيم . كانوا يتعجبون اول مجيئهم اذ يرون في فلكوث جناني غير ما كانوا يتوهمون وتصور لهم من قصة مقشعرة عن نار و كبريت ورائحة شواء جسوم ، كما لرأيت ايضاً خلقاً كثيراً من اشهر وافضل العلماء والفلاسفة والمصلحين والمخترعين والفنانين والكتاب الاحرار الثقاة والعاشقين المشهورين المخلصين ـ جميعهم يرتعون بسلام وحبور روح ، ويعيشون ويعملون حسبما يتقبلون ويهوون . أما عندك ، هاه ! هاه ! اخبرني بعض زمرتك الذين ينفضونك عنهم الآن ان ليس في مسارحك الفارغة اليابسة الباهتة سوى رهط من متحمضي العجائز وصغار العقول واهل الجبب الكهنية المتجهمة والطيالس القيصرية المزركشة ، ومن ثخان الجلاوزة المتبخترين بازرار من لمع الصفر والتنك ، عليهم الشرائط

الملونة كاذناب ذكور الطواويس ، ويسلون جميعاً أزليتهم الميتة بترقيع الكلسات وتبخير حقوف اباطهم وشقوق اقدامهم . الا كأن حظيرك الشع ، وانت النئيمة الربيض ، والبقية البرغش والبعوض!

اما الاتون ، فانسه ياعزيزي ! يداي انظف من ان تشتغلا بحرق العبيد ! ضميري ابيض من ان يفكر بمثل هذه الفظائع التي تتخيلها لمخاليق قتلت فيهم استقلال الارادة وصحتها ، وتتباهى بأن اجتمع في جوقتك طبخهم ، جزاء على اعمال مشينة وجرائم قبيحة ، مخلوطة غير مفرقة عن تصرفات وافكار ساذجة بريئة ، وكلها تجعل نفسك مسئولاً عنها باحتكارك كبرياء دعوى الاولية الفارغة في وضعها لجنة عشق السطوة فيك مع العجز المفضوح عن الجبل اللطيف والتكوين الحسن ! فيالك من هملاج بهربجة !

الهوهة

يا للانقلاب الفظيع ! اتئن حتى لتعترض على عملي وتخريجي وتصرفات اباليسي ؟ او تظل تتمرد حتى اطفيء الضوء في عينيك واخصينك ؟ طردتك ، يا حيوان ، من عندي لتمردك الاول ، وامرتك بحراسة سعير المتمردين ، والآن ماذا اسمع ؟ تبدل افرانك برياض ، وتنتقدني كاتني لست في ميمنة الفضاء معصوماً ! ساسحقك وان لم اقو على موتك . انك برغم لا شيئيتك ايتها الخنفساء ،

ايتها الذبانة اللقيط ، لخالد حتى مثل خلودي انا البعل زفس رب الجمدين، فليس موتك بوسعي. آه ، لو كان !... لكن انا الذي سيعلمك كيف تأكل الالام ! هناك ، في اعالي جبال القفقاس ، هناك ساوثقك على اسمى قنة بسلاسل الفولاذ قبالة بروميثيوس الكافر الذي خالفني مثلك ، اذ كشف للدويبة الانسانية عما ليس لها معرفته من سر النار وبركاتها . هناك هناك ستذوق ثلوج الشتاء تقرض على جلدك عارياً . وشعاع شمس صيف خزاقة سيخترق منك النخاع وأنت تهذي من العطش وجنة الجوع . ساسلط عليك بُلاج الرخخة والنسور ، تحور من حولك والقمة في دورتها الابدية ، وتحط عليك كلما ارادت الراحة لتنهش من لحمك وتلقم فراخها قطعاً تقضمها من قلبك وكبدك ! سأصعقك ببوارقي ! سيشدك السلسل جيداً الى نواتيء القمة تخزك وخزها السرمدي ! سار كبك خازوقاً من ابداع يدي ، لا من صنع مبلودي جلادي الفرس او مجاذيب دواوين التفتيش الارضية . ستضرب رأسك بالحجر من جنون العذاب ، وتشرب الدماء السوداء تسيل من جروح قيودك والمسامير المدقوقة في عظمك المنخور بالدود . وحريتك الوحيدة ستكون ان تجدف وتصرخ في وجه السماء حتى تنفجر اشلاء تلزق الى بعضها بعروق خلودك وعصب رجفات

آلامك فيه ! س ... س ... بل ساعلقك على قاف من الذروة الى الذروة ، وجلدك بسنانير الاناجر مخرق سندرياً .

صلادم

هاه ! هاه ! هيوه ! هوه ! هيه ، هيه ، هيييه ! انك لتمسك بي الزهزقة ! لتهال هيل السكران ! فيالك من تهلل اهلول بخطاب حلو وفصاحة الطمطمانية . يبدو لي كانك في هذا الفن تكاد تبلغ مقدرة ذلك الحكاءة الماهر الموجود اليوم بروضي ، والذي كان البشر يدعونه ، وهو بينهم ، بديموستينيس . لقد صنعته وجوقتك بعاهات كثيرة . على ان نفس الابداع مني فيه جعله يتغلب على تلعثمه ووهنه . ولا يزال بنو الانسان يرددون خطبه ضد الفاتح البربري ومدوخ حرية الاثينيين منهم الى هذه الساعة ، حتى ان احد مشاهيرهم لم يرض مؤخراً أن يمت الا بشرطين اتمهما ، اولهما تأليفه كتاباً عنه ، وثانيهما التمثل به في معاندة السخف بالتوصية ان لا يقبر الا واقفاً ، رمزاً الى ان ان احداً ما استطاع انامته . لكن دع هذا ، ولتتكلم فيما وهمت ! تريد ان تقيدني مثلما فعلت ببروميثيوس ، إه ؟ ايها المسكين ! بروميثيوس الآن طليق ، يؤسس بمغرب الارض فيما وراء جابلص روضة كروضتي . قلت لك دال ملكك ، ياهوهة ! اين شياطين عسكرك وحجابك ؟ قل لهم : يأتون ويوثقوني

ايها السعيد الذكر ! ..

الهوهة

ارواحي ! ابالبسي ! ماذا اسمع من هذا النجس اللعين ؟ من يأمر سواي ايتها الوضيعة التعسة ؟ ! من يملك اذا لم املك أنا ؟ يا سعالي ، يا زبانية ، اليكم عني بهذا الرجيم ! انني اشعر من هذا العقرب باشد الانفلاق . الي ، الي ايتها السعسلق أم الهول وحن البراص ! كلي رأسه دفعة . عجلي يا هذه الشونات !

صلادم

ها ـ ها ـ ها ـ ها ! اذهب واختف قليلا ياعزيزي ، فانك تقهقر نحو العمر الاول ! حقاً انك لخبيثة خبيث ! بل اهكومة الاهاكيم !

الهوهة

آه ! آه ، الحسكة في زلقومك ! أخ ! ياقوتي ، ما دهاني ؟ الزغلمة في غلصمتك ايتها الحشرة السنعبقة !

صلادم

شع شع ! هوهة ! اين الاعوان والسواعد ؟ في عالم الحياة القائمة ، حياتك ، ليس للواحد من ساعد او عون في ضيقه غير نفسه . حتى ناسك وبنو عويدمك ان مات احدهم ، قالوا في قلوبهم هؤلاء السعادين : « ارتاحت الدنيا من فواقة ! » حجابك

وشياطينك، قل لهم ان يأتوا فيأخذوني ! أين جميع بني هنام يا طومة؟!

حجابك وشياطينك : مرهم ان يمنعوا مياه العنب في الدن تصير خمراً ! ألم اقل لك قبلاً بانك خرفت ، بانك لاتتجدد ولا تتبدل . لكن اسمع : اريد ان اقص عليك خبراً لم تعلم به قط من قبل . ومنه تدرك لماذا تتشف الان لحيتك صائحاً : « يا للانقلاب الفظيع ! »

أتذكر جلالتك اللوسيفرية البعليـة المعظمة اليوم الذي اخذت فيـه مع بعض زلك قبصة من الطين ، فجعلتم منها كما فعل الباري مرة من قبلكم صنماً صغيراً كصورتكم ، ثم نفختم فيه من روحكم ، فقام يسعى على ثنتين كالكنغروة بملء كيسها ، واشتهر بيننا تصغيراً ودلعاً « بعويدم » ؟ وتلك الانثى التي خلعتموها ناباً من شدقه بين هو كخنزير يغط، متشبهاً بفعل الله ايضاً من قبل، اتذكرها ؟ كيف رميتموها تتثنى امامه مختالةً بردف مورم وورك اعوج ، فسماها خدنها وصنيعتك ذاك ، من فرط ضجره منها من بعد يومين ، بـ « عواءة » . انه ليرد على خاطري الآن

مبلغ اعجابك وزهوك بخليقتيك هذين ، وحسبانك اياهما عملاً جليلاً ، اذ رحت تسأل الرهط : « كيف رأيتم هذا الخلق البديع ؟ أليسا أجمل ما صنعت الفكرة والأيدي ؟ هل في الامكان أبدع من هذا الذي كونته فكان ؟ »

لقد انسابوا يوافقون غرورك بما كنت ترغب من اجوبتهم ، اتقاء سطوتك وتزلفاً الى استبدادك . خصوصاً وانه لم يكن قد مر بعد كثير وقت على حصرك كل السلطة فيك وفي بعض من زمرة شياطين رفاق لك ، اذ قمتم بمؤامرة نفذتموها على العوالم وسكانها ، ناسين دساتير الكون ، مستهينين بجميع الحقوق والحريات التي اكتسبتها مجتمعات السماء في دهور داهرة من الصراع وعذاب النمو . اما انا ، فلقد اشمأززت منك جداً في اعمالك واقوالك ، وفي صنيعتيكم اكثر منك في اي شيء آخر . كنت يومئذ في عصبتك . لكنني ، كما قد علمت ، كنت حراً ، صريحاً ، أمقت القسوة والاستبداد وما برأت اطماعك واطماع لفيفك واعمالكم من اضطراب وآلام . لقد كنت عاشق الحرية ، الحرية المطلقة بالفكر والذات ، تلك الحرية السمحة النضيج التي أوحيت فيما بعد شيئاً من افكارها ومبادئها الى صديقيّ الانسانيين : الغفاري وكروبوتكين ، والتي

تناول شعلتها العالية من بعد تلميذا الاخير الشهيران : ميتالين الشاعر وارث اجنحة الحصان الابيض لبيلروفون المحلق ، ومعدنكار المرير صاحب طير السنونو والمغنين الجوابين ، فاطلق عليهم الناس خطلاً ، اذ كانوا يعنونهم ولا يفهمونهم ، لقب « الفرضويون » ، وان كانوا ، في الحقيقة أيضاً ، لم يخلوا من بعض موحيات هذه الدعوى . وكنت أنت ، ياهوهة ، تدري بانني أخذت اكلم عليك الملائك والشياطين ، وأحمل فيهم ضدك من طاغية ظلم وجهل . لهذا كنت تضمر لي حقداً ساخناً ، وتنتظر لي هفوة صغيرة لتصب علي جام نقمتك العمياء .

وانت تذكر ، ولا شك ، يوم مررت بي وبرفيقي لينتثل في ساعة من تلك الاويقات الجميلة التي كنا نقتطعها متنزهين نتداول الاحلام مثل شبان متفلسفين ، وكيف استوقفتنا تتهرنا كما تزجر ريسة مدرسة راهبات في الكرة الارضية تلميذاتها الداخليات ، او كما كان معلم كامل الجلف الفظ يخاطب هذا الفتى الحالم بنا الآن ورفاق صفه ، فقلت لنا :

ـــ مالكما تنفردان عن بقيتكم ، ولا تشتركان معهم في ألعابهم ولهوهم ؟ »

بما دعا ليئتل ان يجيبك :

ـــ لعبنا كثيراً فيما مضى ، ولم تعد لنا رغبة بالعبث الصبياني . انا الآن نفكر . لو كنت تعرف ما التفكير ، ولا يصيب جلالتك منه وجع في اللسان ، لصحبتنا وسرت بدربنا جداً ! »

فقلت لنا بخبثك الدفين :

ـــ لماذا تفكران ؟ ما فائدة تعكير المخ ؟ ألا ان التفكير هو قواد الضلال بعينه . وانا لا احتمل في جنتي اثراً من ضلال ! انظرا لكما مقطعة غير هذه ، فان اللعب بالنار قد يحرق من غير انتباه ... لكن ـ قلت بعد فينة ـ اريد ان اسألكما رأيكما في مجبولي الجديدين ؟ أليسا ابدع من كل ما صنع الله او روح من ارواح الخالدين حتى الآن ؟ »

فبلع ليئتل ريقه ساكتاً كالموثوق من تفاحة خناقه . أما انا فنطقت هذه المرة ، وقلت لك :

ـــ مخلوقك عويدم هذا لمن اكثر ما رأيت بلاهة حتى اليوم ! شكله قد لا يكون الا اجمل من معظم صور

تلك الكواسر التي ملأت بها رحاب ديس السيارة الارضية .
لكنني رأيت فيه وفي رفيقته عواءة كثيراً من حلو شمائلك .
تراهما ينامان كثيراً ، ويأكلان كثيراً ، ويتذرران كثيراً كثيراً .
بالامس فقط وقع نظري عليهما يصطادان ظبياً صغيراً وديعاً انحنى في
قيلولته منطوياً بحقف رمل في كناس ، فيدقان جمجمته بحجر حتى
تنطلق منها عيناه ، ويغطسان نهشاً في لحمه وعظمه حتى يصطبغان
بدمه الزهري الطري . ثم تأخذ الانثى ، بعد ان انتفخ بطنها
هراً وذهناً ، جزازة فروته اللينة ، وتلتويها على كتفيها بدلال
سميك ، وتمر تطعسف في الارض خبطاً ، وتختال فيها كزينة تبدو بها
مفتولة الغرور . اذ ذاك ما رأيت الا ويمويدم يمد يده كالبارق
فيخطفها عنها . يفرشها على الارض متوسداً قحفها . فحملقت
فيه رفيقته هنيهة وقد احمر وجهها كشمندرة كبيرة ، وانتفش
شعرها كجزيرات بصلة مقتلعة لا يزال عليها رطيب التراب .
وثبت عليه تشد به هزاً من ذوائب هامته وعارضيه ، وتعضه حتى
اكلت له قطعة من أنفه . لقد كان بينهما نزاع يا له من نزاع
مخيف على الجزازة ! سمعتهما يتلفظان بكلمات اقشعر لها بدني .
رأيته يضربها بنبوته حتى غشيت وخرج الزبد احمر بالدم من
شدقيها . ثم اخذ جلد الهلم وراح به يتفتج . لكنني شممته

يرجع اليها بعد ساعة متوسلاً يخر على ذقنه ، ويسكب دموعه على قدميها ، ويضع في حضنها بمسكنة منافقة غنيمته التي كاد يقتلها من اجلها من قبل برهة . اما هي ، فشاخت بعرنينها المحقوقف ، وفتلت عنه برأسها باصقة عليه. ولما اعياه امرها ونفد صبره من دقائق ، وثب عليها يمسكها بيديه واسنانه وعضلات امعائه كفريسة واقعة في الشباك ، بينما هي تشهق ، تتلوى ، تجرحه باظافر كمخالب سنور وحشي . ولما استسلمت له سكنا ، وانبطحا باجرنباء ، وسلكا مع بعضهما كبقية حيوانات السيارة الارضية عند ما تتآبط للتوالد . »

لا يزال هذا الحديث ماثلاً امامي كانما قد وقع بيننا مساء امس . ولعلك انت ايضاً ، يا هوهة ، لا تزال تذكره ومعه كيف اني ما وصلت هنا برمذاك من عرض رايي عليك في دميتيك حتى قال لينتئل بهدوء وهون :

— هذه روعة ما عملت ، يا عزيزنا ! ... لقد سألنا لماذا نفكر؟ وانا الآن اجيبك : نفكر لندرس اي مجهود يلزم للواحد حتى يستطيع ان يحسن نفسه . سئمنا كواسر وحوشك ورهط نظرتك ومجانينك وعجائب مخلوقاتكم العوجاء ! كدتم تقلبون الجميع هنا الى اشرار معتوهين ، حتى ليشبهون بهائمك غريزة وعاطفة ، ويكادون يستوون مع عويدمك الذي كأنك لم تعضه

من وظيفة سوى ان يعكر صفاء نجمه . ترى ألانك تعلم ان التفكير يطير بدعائم طغيانك الاعور تريدنا على ألا نفكر ؟ ...»

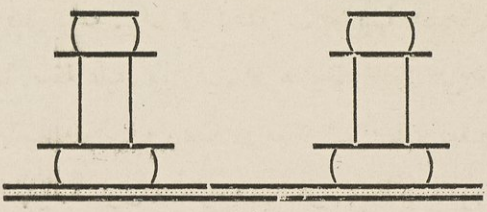

ولعلك تذكر كذلك بان زميلي ما كاد يعقب علي بعبارته تلك وينهيها حتى رأينا عليك عينين متوسعتين غضباً برعب كفوهتي قدحين ، وترسلان ناراً مثل كور الحداد ممزوجاً بتفات رغاء تنهال علينا وكانها من شدقي جاموس مفتون هاجته خرقة حمراء . لقد ادركت ان كل ما اسسته ورفعته من ظلم يوافق شينك لا بقاء له طالما في الوجود فكر واحد لا يزال يستطيع النظر والنقد . لقد اعلنبيت للشر كديك مغتاظ ، تستطيع ان تقترف بنا اي شيء يبدر لك . لقد خرجت عن طوقك ودست على عارية وقارك . وضربت العفر لبطة سقطت لها جسوم السماء مشتعلة ، فزهقت لها انفاس بضع باقات من المخلوقات في كل سيارة وثابت مسكونين . وامرت للحال جلاديك حمرائيل وخرطابيل واسراف الفيل وخربطاحيل بتكبيلنا

أي تكبيل ! ثم زججتني في بطن فيزوفيوس من اعمال الكرة البشرية ، حيث كنت تقيد في جبال براكينها وجزرها كل متمرد عليك وخارج ليتعذبوا فيها بخلودهم على اجسامهم المشوية المصلوقة بنيران بحيرات معادنها السائلة . اما لينتئل ، فقد ارسلته الى قطب الكرة الجنوبي ، حيث حبست عليه هنالك في بُوَلس من جليد قاتم ، وقد كان احتراس خيالك القاتم اقامه على ربوته هناك استعداداً لطاريء كهذا منذ اخذت قشرة السيار تجمد ، فكان عنواناً للموت البارد قديداً وتحجراً .

الهوهة

ضربتك قبل اليوم باليأس والحيرة ، ايها الدعشوقة المبلسة ، وانت تعرف جد جيد كم انا غيور ولا حد لنقمتي . كما ليس لملكي حد كذلك نقمتي ليس لها نهاية . فهلا تخاف ؟ ارحم نفسك يا حيوان ! لكن معليش ! تكلم ! تكلم وصف كل شيء ، فاني ايضاً صبور كريم ! ... لا ، لا تخف الآن . تكلم ! ولما تنتهي اخبرك ضميري . ساجري عليك الاعجوبة الكبرى . ساقتلك ايتها الكلبة القلابة .

صلادم

هـا ! وهل في الوسع هـذه الاعجوبة ؟ يالك من

علهب تيس معقد القرنين ! أنسيت ان الخالدين كالكون ـ لا يموتون كما الكون لا يموت . لو استطعت افناء الخلود ، يا هوهة ، لكنت انت اول نقطة غبار تضمحل فيه . ليس لك مني خلاص ! اذ هل يختفي التمرد طالما الظلم موجود ، وهل يخلو الحل من دود ؟ انت بكل هذا اعلم مني . لكنك تغر نفسك او تتوهم تخويفي بتهديدك بالمحال ، حتى لقد تجعلن هذا الفتى النائم المسكين ، الذي ركبه زبنيك اللعين هراء بقبيح ما وكل به من جوائم الكوابيس ، فروحنا الآن نعلو طبقات عقله ، ونتبارز في فجوات مخه الغابي الرؤى والظلال ، يظن انا من بخار ، وان قوة الابداع في الخالدين بخار ايضاً ، لا قدرة مادة عظيمة ، غنية ، دقيقة ، وكامنة في الرؤوس المرفوعة كالحيان الكبيرة الراقدة في بذرة صغيرة .

ها قد حشرتني في سقر فيزوفيوس ، وقيدت الآخر الى القطب ، فما الذي حصل ؟ وقع ما لم يتنبأ به غطش فكرك المعتوم .

فلقد سلطت انا نار البركان على جمته ، وحفرت برأسه فوهة انطلقت منها في عام ٥٩ بعد موت احد شهيري شعراء الدين الحساسين . لقد كان ذاك مني خروجاً نارياً مزلزلاً تهدمت له ، ويالاسف ، مدينتان وقرى عدة بلعها ليل أهيم جميعاً بلمحة البصر . وبعد نيه تجوال قضيته زمناً متنقلاً كالموقة بين بروج النجوم ، ضارباً عصاة التسفار على طخرور خفيف في كل شاسعة من فجاج لانهايات مجرات الجمد وتعاريج براعم العوالم وحوجمات الشموس ، اتلقف في ذلك ما يستطيع اوار نهمي عباً في معرفة الكون من علم وقدرة وتعميق تفكير ، وبعد برهة قضيتها بشبروت قفر مهوئن بمشرق الارض خلف جابلق ليس فيه روح لجني او انسي ، ولا لحيوان او نبات ، عدت فانتحيت بقعةً هوماً اخرى ، مهجورة ما دخلها حي وخرج منها قبل ذلك الوقت قط . ماحوت غير نفود الدكادك واعقاد الرمال الساخنة تتنفس من خلل الصيق شفوف آل وسراباً ابدياً يسن ، وسوى القليل من الهيا كل والسياسي ، مذرورة بين كل فرسخ وفرسخين ، أقفاص عظام وضلوع كانت تحيا فيها زحافات وحلازين كبيرة غريبة ، خالطتها بضعة لبني عويدمك تسربوا ثمة في ابلاس هيامهم يرنحون ، حيث عفروا حتفاً شنيعاً . هنالك ، في تلك الفرجة الهائلة الجرداء ، التي تمتد

كالبحر السافي فيما وراء تخوم رمال الاحقاف ، والتي كان الأقدمون يسمونها بالربع الخالي تدليلاً على طبيعتها ، هنالك ، بعيداً عن جس بصرك وعن دواسيسك ، انشأت غريف روضتي السعيدة بمرق حدائقها المترنمة الغناء ، يعلوها ناعم الرباب خالياً من حناتم وفي تلافيفه ارواح النشاط والحبور . هنالك كنت استدرج كل من استطيع عليه من اشكال الخلق ومتنفسات الحياة . حتى البلكساء لها عندنا مقام .

ومع اني لم اكن اقوى على ايجاد الحي الذي كنا نحلم به اذ كنا عندك ولا شبهه من غبر الارضين او الربع ، بل كان علي ليسعني ذلك ان استعين بتراب مكانك حيث تقوم سلطتك ، الامر الذي ما وقع لي طريق اليه ، فقد استطعت ، رغم ذلك ، بقدرتي الخالقة ، ان اخرج من ابناء عويدمك وعواءتك خليقة حقاً جديدة بالنسبة للاصل في صنيعتيك . كنت ، ان وجدت فناناً في طبعه او قابليته ، انفخ فيه شيئاً

من روحي ، فيصير يسمو في فنه ، ويظل ينضج بالمثابرة والتمرين حتى يصل قوة الابداع . وان كان هناك مخترع جعلته اكثر براعة في فكرته الاختراعية . والكتاب ذرتهم يرتفعون فصاحة وتأثيراً وبعد نظر عن مرتبة الانبياء . ومن الثرثارين الصغار عملت فلاسفة . ومن الفلاسفة ، او الثرثارين الكبار ، اخرجت حكماء عدمليين كالسنديانات العمرية الشديدة .

من كل فتاة اوجدت نموذجاً فذاً بذاته للجمال ، وحرية الذكاء ، وعاطفة الحب الالمعي . وصرفت اغلب اهتمامي الى من اذلهم طمع وسوء تصرف ممثليك في السيارتين الارضية والمريخية ، فجعلوا منهم عبيداً ، اناساً معدومي الشخصية ، لا روح لهم ، ولا حب في قلوبهم ، ولا جوهر فكري ولا منظر عقلي عليهم من شدة ما عرفوا من قهر ويأس ، وبانوا كالمسوقين بحدود السياط . اولئك هم ملح الارض الممزوج بزهومتها . من ألمهم أو عملهم أو انحطاطهم ، من تعبهم وسذاجتهم وتشردهم وامانيهم الليفية الشعثاء ، الشبيهة بشراك الاحلام المكبوتة ، تعشوشب البسيطة ، فكأنهم في عالم حياة البشريين كالنحل والحشرات الطيارة في عالم حياة النبات . هذه تلقح الزهر بعضه من بعض وتؤلف شبكة مواصلات الطبيعة فيما بينها ، وتلك تقوم بالوظيفة نفسها في غابة الانسانية ، مع الفارق بانها

لا تنال عسل النوار . فمن كل واحد من هذه المخاليق المكدودة فجرت حياً بديعاً يرفل في نور من عقله ، ويستحم في بحيرة ذهبية من ذكاء جديد وحنان عظيم .

كل عندنا اصبح شبه اله سعيد منتج بين جمهرة من اشباه الالهة ، مجموعة متحررة الافراد لا تعرف سيادة أو عبودية ، مؤلهاً او شيطاناً . لقد قسمت نفسي ارباً ارباً ، متوزعاً عليهم شعاعاً ، غارقاً في اعماق اعماقهم . أعطيت كلاً جزءاً مني حتى تلاشيت فيهم واصبح الجميع مثلي ، اراني فيهم ولا يعرفونني الا بشعور عريب . اما انت ، فلو شهدوك لما عرفوك قط ، ولما شعروا الا بما توحي انت ولمع نيرتك من تقزز نفس . واما عنك ، فقلما يسمعون شيئاً او يحفظون الا انك كنت ، فيما مضى ، جسماً مجسماً للقسوة والفوضى وانحطاط الاستغلال . جميعهم اصبحوا يحيون بالتعاون على محاولة اقتياد خنزوانة الكون العمياء بقبضة حكمة العلم العبقرية الناضجة .

هكذا ، يا هوهة ، صيرت من طينتك وكارثات ترتيباتك الاستباقية الخرقاء حيوية سوية . لقد اصبحت المثل العليا التي كان يحلم بها دوماً احلاماً دينية وشعرية اولئك المنتقدون الخارجون عليك من بني الانسان ، والتي كانوا يطلقون على ممثلها لقباً ما كاسماء « ابن الانسان » ، او « السوبرمان » ، او « الرسول » ،

او « المعلم » ، او « الكامل » ، او يطلقونها بعض الاحيان غلطاً على الحمار الذي كانوا يتصورون معاني هذه الاسماء عليه .

اما لينتشل ، يا هوهة ، فاعطيك من جوائبه انه هو الآخر تخلص ايضاً من بولسه . لقد ظل الف سنة ينفخ ليل نهار بانفاس حرى كهواء السموم في جدار محبسه الجليدي ، حتى بان له بصيص كرأس الدبوس من زرقة السماء وأمل الحرية . فما زال به حتى صار البصيص قطعة ، والقطعة منفذاً يمر منه رأسه . وما ان انطلق من خلاله حتى اخذ في غارات عنيفة على بؤر الوجود الغارقة في حمأة انينها . اذ انه هو ايضاً اضطر ان يجعل منها مجال التكوين للاحلام الرائعة التي كنا نراها في نزهاتنا عندك .

الصراع

ليس احتمال العادل هيناً .

سوفوكليس

(من درامته المفقودة « آل الاآليد »)

وفتيان بنيت لهم ردائي ... على اسيافنا وعلى القسيّ
فظلوا لائذين به وظلت ... مطاياهم ضوارب باللحيّ
فلما صار نصف الليل هنا ... وهنا نصفه قسم السوي
دعوت فتى اجاب فتى دعاه : ... بلبيه ! أشم شمردلي
فقام يصارع البردين لدناً ... يقوت العين من نوم شهي
فقاموا يرحلون منفهات ... كأن عيونها نزح الركي

اصد الاعراب

اول ما فعل انه دخل في شكل واسم جمعا بقايين ، فقام باعمال جميلة . وكان حيث يرى ظلماً يداوي ترتيبه ويعدل عوجه . ثم خرج من جسم قايين تاركاً اياه انساناً جديداً في اجتهاده وسعادته . لكنك ما عتمت ان رأيت هذا المسكين وانت لا تعرف حقيقته . انما لحظت ان روحه وعيشه من غير جنس روحك وعيشك ، فالتهب جنونك وجعلته يقتل اخاه هابيل ، اخاه من امه وابيه . ثم تشرد ملقحاً من مصل التيائك ، يجوب الجبال والسهول كالكلب الكلب او ضبع جائع .

وكان هناك قوم يسكنون مدينة عظيمة في شمال العراق ، وكانت تسمى « باب إيل » ، اي مقام السيد . جاءهم لينتئل بزي ضارب على الطنبور . وسوس لهم باشياء كثيرة ضد ما كان بهم من تعاسات خلف لوامع استارهم . فتخلصوا من كثيرها ، وثابروا في حياة جد وابداع حتى وصلوا من عظمتهم ان بنوا برجاً عجيباً هائلاً ما كأنه كان الا مدينة بذاتها من قلاع وقصور مربوطة بعضها على بعض بلوالب وسلالم ومنجنونات من كل طراز وقالب ، فكانت كعمارة « مينوسية » مسردبة في الاعالي .

وفي ذات صباح كان لينتئل على رأس جبل يحلم ويغني وبابه . فاذا به يراك وقد رأيتهم ، وقد كنت برمذاك لا تزال بك نقطة من القدرة على تمام السمع والنظر من غير اختلال . وقبل ان يستطيع الوصول الى المدينة كنت ، كما تذكر جيداً ، قد ملأت انفسهم بغضاً يفور وتحاقداً زعافاً . في ساعة واحدة أثرت كل ما رقد فيهم من سم قارصة الرتيلاء وطبع العقرب والافعوان . انتشروا في الاسواق ، واعتلى قسم اعلى السطوح والمآذن واشجار الجنائن فوق البرج الشامخ ومن على متونه الرفيعة . واخذوا يرشقون الشتائم ويبصقون كراهيتهم في وجه السماء ، متراكضين هنا وهناك كالفئران الهاربة والعميان عما

بهم . اما انت ، فلتتخلص منهم ، وميت بينهم حجراً . فراح كل يظن الآخر قد ضربه به ، فكان حظهم منك اسود سيئاً كحظ الاخوين من قبل ، اذ أمعنوا يأكلون بعضهم بعضاً ، ويهدمون آطام معراجهم على رؤوس انفسهم .

غير ان ليئتل كان يضحي بكل شيء من امانيه ، بكل راحته . ما يئس وما كلّ . كان يعلم ان مهمته شاقة معذبة ، وانها لا تنتهي في قرون طوال . لكنه ظل مثابراً كنجم ابدي الانارة . فما زال يشن الغارة تلو الغارة ، ولا يني عن تهذيب وتعليم بني عويدم وعواءة سبيل انفسهم . لقد بلغ بها كل صقع ، ودخل كل اقليم معزول ، غير تارك مكاناً ، فيما بين جميع دورة الكرة من حول الشمس مطلعاً ومغيباً ، مما وراء واق الواق حتى السند والبند وجميع شعاب جبل قاف المحيط بتلك الدنيا على دورة قيق وفيق .

كان يفد على تاريخ الارض تارة في هيئة فيلسوف اختلط صحيح آرائه وحلوها بغريبها ومغلوطها ، باسم فتاحوتب او

كونفوشيوس او افلاطون ، او بصورة آخر نير يشع صفاء ويشع ابتساماً باسم ديموقريطوس او باسم أبيقور . وتارة كان يأتي بافكار او حركة مستعبد ثائر كيسوع في فلسطين ، او سبارتاكوس وسينيكا في روما ، او بمخايل نبي غاضب على الجهلة كهود او عاموس او محمد . تارة يجيء في ثياب امبراطور متسام نسيج وحده في غرابته كاوريليوس او فردريخ صقلية او بطرس السلافيين . مرة كان يخترع آلة دقيقة ، ومرة يرقم لوحة الجمال الصغيرة ، واخرى يكتشف حركة مدهشة من حركات قوانين الطبيعة .

جاء اهل الارض في وقت بشيء يدعى الطباعة ، بحروف دوبيية دقيقة سوداء توزع نسخ من دمغاتها على ورق بملايين القناطير ، فتفسد كالصدأ على البلى ، وتنخر كالعث والسوس في عروش الظلمة الجهلاء من قيصريات ورئاسات نحل كنت لا تني تفتن في خلقها اقطاعيات بالية بعضها فوق بعض كبيرة على صغيرة ، وصغيرة على مصغرة .

قال لرهط من بني عويدم وعواءة : ان كثيراً مما في الكتب والمسطورات التي يقدسونها مخطيء وغير جميل . أراهم الجهل والشراسة الهوجاء مترعة فيهم . وبرهن لهم برهاناً صدقه المنطق والفحص ان السيارة الارضية ليست محور الكون ، وانها

للشمس قمر تقفل من حولها . لا الشمس حولها . ثم اعلن ، وهو في برنس بحري على فتى جنوي حالم ، اكتشافه لنصف الكرة المجهولة في معظم مدنيتهم . ووجد ايضاً نظم الجاذبية وهو في بيتي ولقبي رجل ذكي عجيب لولبي التفكير اسمه كبلر ، وآخر فذ دقيق كان يعرف بنيوطن ، فاستغنى العلماء والمتعالمون بذلك وبسواه عن كثير من تعليلاتهم العتيقة المضحكة لكثير من امور الفلك والارض وحوادثهما . وسكت كذلك من بعد اهل اللاهوت والغيب قليلاً عن تخرصهم السابق في ذلك .

كان يأتي احياناً متقسماً على شبان ارواح ، مهرطقة ذوي عبث فلسفي ويكون بهم فهم عميق محيط للحياة ، كمثل لوكريشيوس وابن الراوندي وهيني وديدرو ولوسيان وابي النواس وشلي وستاندال وبيرون والخيام وانجرسول وبرونو وسرفيتوس وباين ومينكن وهكسلي وسلطه وما اشبه .

ومرة ظل حوالي ثلاثة ارباع القرن واضعاً على هامته تلاً من الشعر المستعار ، مرتدياً لباساً من طراز لويس الخامس عشر ، ومطلقاً على نفسه لقباً شيطانياً هو « فولتير » ، أي معنى يترجرج بين سرقة الارض وطيران الارض !

وكثيراً ما كان يفد في هندام أديب يرف رقةً ، او

جنينة هجاء يرقص تمرداً، او في هيولى شاعر حكيم ، او فنان مبدع ، او مؤرخ ذكي ، مثل المشاهير : اوريبيدس وهيرودوتوس وداتي والمعري وبالزاك وابن الرومي وغروث وتولستوي ورابليه وسيرفانتيس وماكيافيلي وابن خلدون وانجلو وشلر ودافنشي وبراكسيتيليس وفرانس وغويا وغوته وغوركي وريتان ، والى ما يطول ذكره من سلسلة مثل هذه الالقاب المضيئة والشخصيات النبوغة .

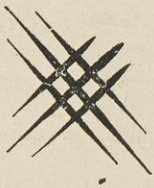

على هذا المنوال ايضاً جعل نفسه تارةً عالم حيوان او نبات كدارون او جون لوبرك ، واخرى طبيباً مكشفاً كباستور او هارفي او كوخ ، وثالثة كشبان قدموا انفسهم عن ارادة وادراك صحيح للتضحية بتجربة علمية رهيبة . ثم منذ زمن قريب ظهر كطالب المانى يبدأ بتمرده من والده لان هذا كان يريده ان يدرس القانون وهو كان يريد الفلسفة ودرسها ، وكان يزمله ثان من طرازه وقدره الفكري ، فاحسنا في تمحيص الحياة الكونية والبشرية ، وفهما جداً من حركتها ، واشتركا حتى بهيجانها ، وكان اسمه فيها ماركس

والجلز .

واخيراً ، منذ برهة قليلة ، برز ، على اثر كارثة مجزرة هائلة اصابت بني عويدم وعواءة في سيارهم من فعل خميرة شرك فيهم - برز وهو يعلن تمرداً أشد واعنف ما يمكن ضدك على رأس جمع كبير من البشرية . جهر ببضعة مباديء عظيمة صعبة على شدتها ، متحدياً كل محنة مضطهدة ، صائحاً باعلى صوته المديد ، هاتكاً عن نفسه جميع ما ستر به . شرع بقوة كهرباء سريعة عنيفة عملاً في طينة بني عويدم وعواءة ليحسنوا هم انفسهم ، داعياً اياها ان تقتلع من اصلابها وارحامها ، من دخيلتها ، البذور التي تنبت عشرات الالوف من التعساء والارديا ، والوف الالوف من المتقاتلين المتناحرين .

ومع ذلك ، وبالرغم من كل جهده وجهد الخليقة التي علمها مقاتلة الجهل والحرب والظلم والمرض والفقر ، فقد ظلت فرسان الرؤيا التي تجر مركبة جلالتك اللوسيفرية في جولة هائلة من فتكها وتدميرها . لا تهدأ حتى في خروج روحها وتباطوء دورتها عن اسالة الدماء انهاراً حمراء ، عن تصعيد الانفاس المزهوقة غيوماً كالحة تغطي الآفاق كدخان البراكين المتأججة . زعموا ان نيرون الامبراطور أحرق روما لينظم قصيدة . اما أنت - أنت - أنت ! فلم تكن تشعل نار الابادة حتى لتنظم قص...

الهوهة

...ضم... ضمير ... ضميري ... يقو ... يقولو لو لي ...

رحم ... رحمتة ...

صلادم

ضميرك يا شنعنع ! شيء حقاً مضحك هذا الضمير عندك ! خبث قليل السذاجة ضميرك ! ألك ، يا تري ، ضمير ؟ ملايين بني عويدمك وعواءة معدودة الضمائر ، نبتت ، ولا شك ، من فسيل شاحط عن تلك الطينة. ورحمتك ؟ ما هذه يا عجاب ؟! ألا لا تعذب نفسك علي بمعسول من كلامك او حنظل. فالالتهاب الحاد في مخ هذا الفتي النائم هنا ومخيخه لم يعد يحتملك. ألست تشعر به يرى منك في الحلم الحقيقة التي لا يفهمها في يقظة شقائه ؟ كأنه ابن من ولدان عويدمك. لكنني انفخ فيه من روحي ، وما سخونته وتضعضعه الا حمى المرحلة الصعبة التي يقطعها من مملكتك في طريقه الى روضتي ! ان بلدان الارض التي كان يدورها كامل افندي لينتئل ، هذا الحالم المتعالم ذو الوجه الدون كيشوتي الجاهم الفاحم ، قد خرج من ترابها صوت رقيق كمواء الفار الصغير. هي زقزقة عصفورية خرقت جدر الغرف التي أقامها حول نفسه. أقامها كالحيطان في فسحة بقدر عرض

رجل وسمكه ، كتلك التي كان رسلك المتعصبون يبنونها حجراً على حجر ، من حول فرائسهم الواقفة فيها حية وهي تشهد ، قبوراً واقفة على قدهم تماماً . ولكن يا لها زقزقة يدب اليه معها حباب الافكار المجنحة ! انها توقظه . انظر بعينيك ! اسمعها ترسل زعقة يكاد ينفلق لها كانفجار فلكي بديناميت احد دكاترة السلام !

وها هو الآن ! ها هو سعادة كامل افندي لينتئل ، ها هو يطير بجناحين ، او كأنه على بيغاسوس ، او على البساط ، سجادة كل فقير الجيب او القلب ، خرقة كل غني الخاطرة السائحة . ها هو يقفز عن ظهر الباخرة صعوداً وهبوطاً ، على وبين كل آلات الطيران واشكالها . انظره ! وقع طربوشه عن رأسه . انظره ! يحاول ان ينزل ليلتقطه لئلا يبلله ماء من البحر . وكيف يلتقطه الآن باظفاره ويلبسه مائلاً بالشرابة من امام كالستار على منخره . أتراه يحب النزول اكثر من الصعود ؟ ألا انه اذن لعاقل ! لكن البحر لا يزال تحته ، وقد يغرق . لولا انه فقط خفيف . انه قرعة يابسة . ولا خوف على خفيف ! وكل قرعة طوفة طوافة !

وانظره ، يا هوهة ، يعود راكباً في طربوشه ! ما كأنه الا بمغطس ، كارا او كأرخميدس في مغطس ، كغاندي في

سلة او كاليكادو القديم في ابريق . يظهر انه ازمع على ترك الباخرة والرحيل . تلك الباخرة ، ألا تراها ؟ هناك هي ، هناك على صفحة الماء كنقطة الذبابة على الزجاج ، او مثلها على حاء عظيم مرسوم كذنب من خلفها ! انه فوق العالم !

وانظره الآن عندك وصل مملكتك . ألا تراه يتواثب في قلبها كالفراشة العاشقة . ألم تره كيف هرّ به احد متبهلصيك الى براصك من الباب الخلفي . دنافيص شياطينك يخونونك ياهوهة ! يدخلون حرمك كل أقرع أبله يصدفونه بكيس مفخوت على الطريق ! عباقيصهم يثورون عليك ، ياهوهة ! ألا تراهم وقد جنوا بصاحبهم الجديد وهو بينهم كالقمر الابرص ؟ جنوا ، وبمن ؟ بهذا السخيف المريض كامل لينتئل ، النائم على ظهر الباخرة امام نارجيلة في غرفته حيث هو وليس هو ! ... انظرهم حملوه على الاكتاف ، يحيونه ويسقطونك ! ألا تسمعهم يصخبون :

ـــ مات الهوهة ! عاشت اللوثة ! »

انهم يتفلسفون ايضاً . اسمع ذاك الخطيب فيهم كيف يحرنجم الكلام ما بين بلعومه ومسيل انفه ، يخرنطم به كالباغق في بوق :

ـــ أنت ، يا هوهة ، سيد حيوان ! أنت مدير لا تنفع

حتى لسوق الحمير ! انت الافعوان في جلد السعدان . انت النزلة كأنك الطلعة . انت الرجعة ونحن الوثبة ! انت الزمن الذي يفنى ماضياً كالدخان ، وكامل لينتثل هو دهر يولد ! تنفد انت ويولد كامل المسكين الصغير هذا كعصر يطفر من بطن انحلاله !»

انظرهم يفتشون عليك كالذئاب . اهرب يا هوهة ! انك جعلت منهم وحوشاً على مثال . أتراهم يلاحقون ظلالهم ؟ فانوفهم في الارض تتشامّ كالكلاب على الكلاب !

ثم اسمع ذلك الذكي فيهم يصيح :

ـــ مالكم تتيهون ؟ مالكم تتخترون ؟ اطلبوا الدستور !»

وأصخ اليهم كجوقة من كل عفلوق ، نسانيس يرجعون :

ـــ الدستور ! الدستور ! الجمهورية ! الجمهورية ! »

انهم لا يفهمون شيئاً من كلامهم . لقد قتلت فيهم الفهم يا هوهة ! ولعلهم ايضاً قتلوه فيك ، فكم يصعب تحليل لغز حركة الحياة !

لكن ، صه ! لا تحرك لك جبة . ألا يصلك كلام ذلك المتحمس الصقيع ؟ الاحمق قد زار روضتي خلسة عنك وعني . انه كالحرباء تماماً في تقليد النور . هذه الخنفساءة تدعوهم الى جعل ملكك كروضتي . ياله من طائش ! انه سينزل

بدل المن والسلوى تعاسة على رأسه واشكال دويبات الخبائث الى قلوبهم . يظن الرقيع انه يستطيع خلق رياض الخالدين كما يلعب بفقاقيع الصوابين . اذهب ، هوهة ، اذهب ودس على ذنبه ! الا تستطيع ؟ أو خيط له ، على الاقل ، لسانه بابرة كلام آخر ، كسمطك في مثل هذه الاحوال ! رح ، أسرع ، مالك مبهوت شده ؟ أغلق فمك من الغبار الذي يثيره قومك عليك يا هذا ! انظر وجهك في الماء كالمخنوق ، وعيناك نصف طالعتين من الوقبين . انما اسمع صنيعتك المضحك يدعو الى انظمة روضتي ! ها ! ها ! ها ! أنظمة روضتي ! هل الطبيعة نظام او حياة ، يا حياة ؟

الهوهة

طغموسي الاكبر ! أحباري ! شياطيني ! جساستي ! الي ، الي ، الي !

صلادم

ما بك ؟ ما أصابك تبلنصى ؟ أتختنق بشوكة في حلقك ؟ هات اسحبها لك . أو أرني غرائب اشيائك كيف تكون بك رئيفات ؟!

الهوهة

الي ! الي ! أيتها النماردة والهياه والجن والحن والملائكة والاقزام والجم والعفاريت ! الي ! أغثني اباك البار ؟ امسكي بهذه

الانكليسة البسامة ، بهذا الصلور الاخضر ، بهذا الجنبليس الطرطباش الجبان من قبل ان يهرب ! سراعاً اليه ومن خناقه ، فانه يفقص البيضة . هوذا لوسيكرون اللعين ، لا ترحميه ! انهشيه ! أحرقيه ! أنتفي عنه قسمات جلده ! لا تدعي عليه ريشة !

عجلوا يا اهل وبار ، واتتم ايضاً يا قتل بغل الحمار ، واتتم جميعاً يا خدع عبقر ، وبذر دهرش ومخايل أحقب ، ومياسم قناقع بني الشيصبان ! عجلوا ايها المتعلقون باخطائي ، المتوقلون في قرون اغلاطي ، المتهدلون حبباً وسهاماً عن ذؤابتي واذيالي ! أين الرئيسان شنقناق والزوبعان ؟ ! واين اللعينان سمرسمرة الغيلان والحيزبان ؟ اين اين حققتم يا بُلط عُلط وإعليط بلوط !؟

القارعة !

كيف كان لى أن أقع على زهرة للرهم مثل هذه بلا ألم !

سوفوكليس

(من درامته المفقودة « ديونيسيا كوس »)

حي داود وابن عاد وموسى وفريع بنيانه بالثقال

امية بن ابى الصلت

والقارعة القيامة . وسرية للنبي (صلعم) ، والسرية من خمسة انفس الى ثلثمائة أو اربعمائة . ومنه : « تصيبهم بما صنعوا قارعة » ، أو معناها : داهية تفجؤهم . وقوارع القرآن الآيات التي من قرأها أمن من الشياطين والأنس والجن كأنها تقرع الشيطان . ونعوذ بالله من قوارع فلان ، اي من قوارص لسانه ! ...

مجد الدين الفيروزابادى : صاحب القاموس

يا ايها الراكبان السائران معاً قولا لسنبس فلتقطف قوافيها

امرهم

مصل ودهري وغاو وناسك وازهر مكبوت واسود كابت

أينحل سبت يعقد الحظ يومه فينجح ساع ، أم هو الدهر سابت؟

ابو العلاء

عجائب المخلوقات

ها قد أتينا ! أين الهوهة ؟ نريد الهوهة ؟ هنا رائحة الهوهة ! ها هنا لمع الهوهة . كأن علينا ظل الهوهة !

الهوهة

هوذا لوسيكرون ! هوذا لوسيكرون !

هوذا المتمرد على النظام !

يحمل مشعلاً في الظلام ؟

أسحقيه لحماً بعظام !

يا له من حيوان مريض مرض الاحلام !

اقبري المتمرد على النظام !

اخلعي عنه تاج الكلام

عن هذا الد . . . ث المعكر لكل سلام !

عجائب المخلوقات

خذ خرقة المتصوف على عنقك تتلفلف

بتشعشعٍ وتقشف او تعاشقٍ وتلهف

الهوهة

الي ، سراعاً ، قفزاً قصاً وطفراً ، الي ! اني افطز !

الي ، يا هذه الاسفنجات الهليمة ! يا هذه المجنونات اركضي !

أسمائي الحسنى ! ما كلي اللطفى ! انا الحبيب ! انا هنا ، هاتوا

الزبيب ، وهذا الكلب في قعر قليب . امحقوه عفريناً يأكل التراب

ويفت في الحيطان ! انا الحبيب ، يا هذه ، أين انتن ؟ ! قتلني ،

عجلي ! قتلني ، فلقني ، بقرني وبعجني ، فاهرسوه من هاجة

نقناق . هلمي ، هل اختنقت يا حنذمان الهوام ؟ يا جميع اهل

جيهم ، أفطستم جميعاً ؟ ! أتهومون في النار ؟ الي ، يا اولاد لبينى

والنهم ، سكان أثام وحطة وعسر وغي وخافية والبلوقة والحبل

ووادي سجين ! انا الحبيب ، هنا هنا البدر الحبيب !

١٧

عجائب المخلوقات

أين الهوهة باي فوهـة
ضاع هذا الفاشل ؟
أين ، أين أين ، أين
أين غاب الماطل ؟
أين ، أين أين ، أين
راح هذا الجاهل ؟
أين ، أين أين ، أين
فات عنا الزاهل
أين ، أين أين ، أين
أين عقل قاحل ؟
أين هـذا الماحل ؟
هذا الحا حا حا حاحل
والخم خم خم خن خامل

زمزمة المتجننة

هذا الجمل الباهل ! غيم الصديد الوابل

هطل هقل هاقل بصاقنا والساعل
كذابنا والحاتل كفارنا والباكل
ملعوتنا والمائل لئيمنا المزاول !
طخمورث يتفندل أو أبجد هوز حطلل

ملائكة عقيون

ثؤلولي وثيتل ثرعلة وثاجل
الزاقل والزالل والأزفل المتحامل
والعاشق والعاذل والطالع والنازل
للبذل أبخل باخل وللبخل أبذل باذل
ثقيل بهصل بهدل وقلة عقل حاصل !

الراقصون على أعراف

كانت عليه بابل ! وحيدر وكابل !
وأحد وتربل وشوارع وجبابل
وعساكر واساكل وصاعقات بوابل
ومزارع ومشاتل والعفش والمنازل
والدفف والمطابل كزامر يعركل

أم الجنون بصوت رخيم

هزلت به الهوازل نزلت عليه نوازل

ومقاصر وعلايل وثلجة سمندل
ونتف وبره هاطل من سكر ، يتعقدل
وعليه بق توقل وبراغث وصراصل
وبرغش وجنادل وحب حبحب حبحل

سعفص و كلمن

وخرقته قساطل وخزقته معاول
وخبصته مطاحل وطحبشته مجادل
وآكلات أواكل وافؤس وعتاتل
فوهم النور فتائل وقوة ضوء ذوابل
كافعل فعل فواعل على عنقه يتجندل !

عجائب المخلوقات جميعاً

(في قرار)

فيا بعزقته قنابل وفشكلته مشاكل
ودهورته قلاقل وزلازل وزلازل
كي لايقوم الباطل ولا للنفس القاتل
بل في نهابر نازل من مثله يتماثل
وعلى شكله يتشاكل

قس بن ساعدة

(المايسترو)

فأين الهوهة لمع اللوهة

ميت الموهة شؤم البوهة

وبأي فوهة

غاص هذا الفاعل ؟

هللوا يا هللوا ! هللوا يا هللوا !

صلادم

وما تريدون منه ، يا هوج ! افرنقعوا عنا ! باب الويل لكم يا اهل موبق ! ألا ارجعن الى الفلق سراعاً كالغبار او سلطت عليكم وثاب الظهور يا آكلي القميشة بالهريسة ! ألا تجيدون غير خزعبلات تفاتفكم القديم ! عجلوا ! هبوا من هنا هبوباً ! ألا بصحنك فاصبحينا يا رغوة الكدكدة والكاكاد ! . . .

عجائب المخلوقات

أين ، أين ؟ أين ، أين ؟

عرقل و معرقل

عـقبـة وعـبقبـل
والبـعبع والـبعـلل
الراقص حنحن حنجل
او فِنزج فنزج جنجـل

ثلاثة السن والطيلسان

في المجـدل ذا المجدل على بطنه يتدحـدل
أكلت عينيـه بلابل لزقت عليه الخردل
واشتعلت به المشاعل فتحروق منه توابل
ومقـانق وفلافـل وفليفـل وفلفـل
وكعكبان مفلفل ونعنـع وأنعـل
بثوم ، بهار ، وبصلل

طاخية الحكيمة

وعـصفر وبرغـل ومكابس ومخـالل
وضفادع وجراول وطواوس وخنـازل
وفرارج وحمـامـل وحجاجـل وثرغل
وبزازق وبطاطـل وفساتق ومحـارل
وكبة ومعلل ومجدر ومجـدل
في جوف بعل يهلل

النخلة المجنونة بين ثلاث سمرات

مع كفتة تتدعبل وكبكب وكباكل
وشاطر ومشطبل على كامخ يتململ
وكماجة وكنافل ولوزينج متهلهل
بقطايف، وبقلاول وكرابج حلبلبل
وتفاحح وبطاخل ورمان وبنانل
وكمثرى وسفرجل

أعشى قيس

وزنجبيل مبلل او ناشف يحلوللو
بكل نبيذ يحلل ويحرم ويحلل
في قلة تتقلقل على دردبيس تولول
فالقرقف يتغلغل ويهدر، يهزج، يجلجل
فتراه يخر يحلحل ومتدحرجاً يتحوقل
بقدونس وجهه فجلل

قيق وفيق في الابريق

وكل اكل يوكلل مدبس ومدبل
ومملح ومعسلل في مخه يتفتل

فتنام منه الأعقل ورأسه يتدلدل
وبسخفه يتكلل كأهرم تتكتل
او جمجم يتبشكل بقصلة عقله يقلل

عجائب المخلوقات جميعاً

(في قرار)

فأين الحوحه كلف بوحه
روائح فوحه قزحة يوحى
وبأية صوحه
صمدح هذا التاعل ؟

قس بن ساعدة يسنده الجاثليق

هللوا يا هللوا ! هللوا يا هللوا !
هللوا يا ! هللوا يا ! هللوا يا ! هللوا يا !
هللوا للو للو !
للو ، للو !

صلادم

اليكم عنا ، يا ابالیس ! اذهبوا ، ارحلوا ، طيروا ، فمالكم ولخرف أشيخ من سفر هذر عتيق ؟ ان هو الا هوهة لوهة تزرب كالفوهة ؟ فأبالیس مناحيس ، حلوا عن تكأكوئكم الغليظ ونشيدكم الأبلد من غناء ايه وآه ! حلوا ، حلحلوا ، افرنقعوا ! حلوا ! شمشموا عنا ! تساقطوا فجأة الى المشريق ، فلعل لكم لدى غوله هنة توبة ، او لعلكم تصدفون لكم طعاماً ما يقوم منكم اعوجاج ظهوركم وينفخ في هزال بطونكم ، هناك بنواحي شجرة طوبى الهالجين . روحوا ، اهربوا من بيتنا يا نسانيس ! اركبوا سكينة البقة الى اقف نمروذ ! فلكم بين تلك الشعيرات حبب من الشيتغور . مالكم ولسانا لصقتم بنا لزقة الخردل ؟ !

عجائب المخلوقات

أين ، أين ؟ أين ، أين !
أين أين الطهمل ؟
أين عذاب ظالل ؟
وغشاء روح ذابل ؟
وفيلم مستعجل

وحد سيف قاتل

حاقق او باطل ؟

ملائكة الرابضة على نهبط والفلتان

هين هين التهلل يا غربلته مناخل

وغازلته مغازل ولتلتته معامل

وخويلد متهرقل وهريقل يتخلدل

ومعاوي ومتوكل وغزالي وليالي

وطخسيني هوابيكل في ذيلها سمويعل

ابن سينا على منقار الفقنس

ومط قطط عيطل هيطل موطل صيقل

ومواك وحنابل وأقرع وتنابل

ومخوّفون جباناللل أو اتن جووافللل

عليها ذئاب تقاتل وأضبع تتفاعل

و « شفاء » كانه عالل « قانوني » يندب ثاكل

منقلباً عليه مناقل

عفرزان السخيف يختال بين طياشي بيت جن

فحوامل وحوابل وأطبة وقوابل

ومحاميون حلاحل وصيادلون ككوكاينل

وملافظون علـلاغل بالحفظ اعطل عاطل
فقياقون مبـاعل بالعبل علب باعل
ومن المجانين جداول ومن العتاريت قوافل
وجريد نخل طايل

زلنبور ومسوط واعمى البحر السرحوب

(يتغرغرون بصوت الشخير . يصحبهم اطروان والخرفان على تلبينة والخشكار)

اسعـارهم فطاحل عربربهم والعجـامل
وشهب أشنب شاعل كانه مفقـاتل
أو قابل وهـابل وحمـير وجمـالل
أو حفل جن حافل أوسلتم ضولع ضيعل
على عضرفوط خبيلل ورأس الجمع زوبعلل

اهل العازف وقزع الحوش بقنزعات

(بتطاريف جانبية من اصوات حديقة الحيوانات)

بربطبـل يالبرطبـل وبطـارق ونبـاول
وأحبـة تتطـاول وأجنـة تتشـاول
ولكل حوالة حاول لالعن شيء يحـاول
بالقنبلل يتداول وبالخنظلل يتحالل
وبخروعوع يتفكهل ويعاتب ويجامـل
ويجـامل ويقاتل

بلقيس وقوافل العيس

(الاميرة على مارد الاستجنان . والجميع بين زملة وشفصلى)

فابو الشمعمق كامل وطرش عور تـلتـل
أو صفر سود حمرمل او أبله يتملمـل
وغزالة وغزالل وذات فكر خلخل
تنوء ، تموء ، تكلكل فكأنما الكل عششكل
على ذقنـه يثرمـل من طلمس يتطفـل
وكهبل وكنهبل

جوقة العجائب جميعاً

فيـا زعبقته قنابل وفشكلته مشاكـل
ودهورته قلاقل وزلازل وزلازل
كي لا يلبط باطل ولا للنفس يقـاتل
بل في أنابر نازل من مثلـه يتماثل
وعلى شكـله يتشاكل

عيواظ مصافحاً قره قوز

(بنهاوند من عيدان ابناء درزة وبنات الدروز ، وزمر ، جازي ، ووثر من جوقة القعشبان ، جميعهم في ركب من اهل مجنة ناذر)

فمان العوعه يكوع بوعه

خيهفعى دوعه أسمع دهقوعه

وبأي هعلوعـه

غطس هذا الماعل

هذا الناشل الماغل

المنغمس المتماقل ؟

قس بن ساعدة

(بصوت رقيق)

هللوا يا هللوا ! هللوا يا هللوا !

هليلولو ! هليلولو !

هليلوليا !

الجميع

(ما عدا الموهة وصلادم ، مرتفعين على حدود صفحات تلمود وتوراة ودفتر وتفتر)

هللوا ! هللوا ! هللوا ! هللوا ! هللوا ! هللوا !

هللويـــــا !

صلادم

ايه ، يا اهل بيمارستانات العقول من سكانها وسكانهم ! ألا تسكتون ! ألا تغلقون رتج حلاقيمكم المسمومة ! يا فقاقيع

الحانات وحبب الخمور الفاسدة ، ألا تكفون ؟ ! ذروه من هوة يوهوه ما شاءت له وهاويه التعسة . ذروه ، انزلوا عن صليبه ايتها الخنافس المرعشة ، ايتها الدبابيس الصدئة ، ايتها الوساوس الكاذبة ، ايتها اللعنات اللعينة ! كفوا عن دين عذابه أو تحبون الي بعجكم بعجة الخباز العجين . ما لكم وللهوهة الافرغ حالاً من قنينة السكران ، ومن جيب بثقوب ، ومن معدة مسهلة ؟ ! ارحلوا ! فرقعوا ! ابرموا من هنا عجلين ! اركبوا أهلتكم وقطاكم البيض كفلائك السماكة ، واضربوا لريح حنون مخنون أشرعة اظافيركم المقلومة كبري النحاس لامعة . اضربوا ، بل انضربوا عن هذا المكان المنزعج بكم في هذا الدماغ المقبب . اتركونا شأنه وشأني عليه من منجوس كسر الفانوس ! افرنقعوا يا ملح الكهان ليس له تصويت وتهويل في غير النار !

نوت عنخ آمون وسنحاريب

(مومياء وتمثال من الخط المسماري)

عليه لعنة قساسس ولعب اطفال مدارس
وشقلبات نسانتس وتكبس بمكانس
من عيسجوز سانس وقنطريس فانس
وقطربوس عانس وطماطس وبنانس

قفص بجناجنه ، برفقة البنج الاسود وجردبان الجردبي

(يمسكون بالجردبيل بينما القفص يكشر و يقود الرقص في انشاد لطيف)

وشمسة حب شامس
بمطارن وشمامس
على هوهة بكانس
وعمائم وقلانس
وبرانس وكلانس
وسنسن واوانس
ومفاطس ومحابس
ومتارس ودرافس
ومناخس على داحس
وملاحس وبيلاطس
بتعاطس وتعافس
فالهوهة افطس فاطس !

قس بن ساعدة

(على راس جمهرتهم . عن يمينه ترتب على قطرب ، وعن يساره
لاب واسطر لاب ، وكل بباب من كتاب : تلمود او توراة او دفتر او تفتر .)

هللو ليا هللوا !
هللو ليا هللوا !

القـاز الاعظم

آمـــين

الجميع

عـن شمال ! عـن يمـين !

حور عين مثل التين

على رأس هوهين ، هرهين !

أيام العجوز

يتثنـين بلـين

مشبهات حين الحين

كقلوب العاشقين ! عصـافير البساتين

حلاوات « الهالوين » ! قبلات التلاوين !

كرنفال انبندقين ضمضمات العناوين

طائرات « بنغوين » كعنيزة أو شيرين

في دماغ الكاملـين ! كامل بحر الهالجـين

بحنـين و انـين يتثنـين بلـين

كقلوب العاشقين

كقلوب العاشقين !

مرامرة بن مرة بن عوج بن عوق

أو عقول الفلاحين أو صباغ على طين
كهشاش الحلازين أو خفاف كالفلين
كنكن وكوانين جنجن ومجانين
مثل ما و مثل مين ؟ مثل كامل كاملين
مثل نون، مثل شين او كدين بلا دين
بأنين بحنين يتثنين بلنين
في عقول الفلاحين
في عقول الفلاحين !

الفارياق والفارياقية متخاصران

(في لباس السهرة وكنفيلة كشكشية)

راقصات راقصين كعيون الغزلين
كذؤابات الجبين او ضلال المارقين
ككؤوس من جمين او سقاة مسقين
من خمور المعتقين معذن الدن البطين
لاعبات لاعبين هلمات كلعجين

قاسيات من بلتين أفعوات في كمين
جلدهن جلد ثمين تلاوين تلاوين
يتثنين بلين مثل عين مثل شين
ساقهن ساق بدين خصرهن ميس الغصون
جلنارات الذقون نواسيات العيون
وردهن والياسمين مسك ريح المرزجون
عنبر و رساطون رأر آوات الجفون
راقصات راقصين أفانين أفانين
بأنين بحنين بتأوه سخين
كعواصف كوانين مثل نار البراكين
تمامين الارجنتين مزامير اليم سيلين
قائمين وقاعدين قاعدين و قائمين
راكبين مسافرين ارحل انت نحن باقين!
مثل ريح رائحين أو مياه من معين
يدفقون و يدفقون مكاييل و موازين
ومثل قاموس رزين ومثل بهلول رصين
كقلوب العاشقين يتثنين بلين
كشفاه الثملين يرجفون ويرجفون

كشفاه الشملين

كشفاه الشملين !

قاطرات المقطرة

يفتلون ويفتلون دراويش فاتلين
حول عمد جل الدين فوارضي غائبين
شعرهم ورق تشين شرح بيت لف سنين
ثانير المولوين صيد سمك القادرين
من نقشبند شاذلين وتنورين وعصفورين
او بربر بسكاكين أو رقص هندٍ بقاس صين
أو بنت هيرود اللعين برأس حنا المعمدين
أو بافلوفا ودنكانين أو سهرة بقهوتين
ومثل سنجاب حزين أو كدرفيل سمين
أو «كبان» السكرين أو كتمساح ثخين
مفردات مزوجين مثنين بلين
فقرين بقرين مثل أسد في العرين
أو هوام سارحين أو نجوم لامعين

من بنات و بنين راقصات راقصين
وشيوخ شياطين أربعين وثمانين
وتماثيل تبين نصباً وخواتين
بحومة معسكرين بدومة مجندلين
فيرقصون ويرقصون ويرقصون ويرقصين
محرقصون متحرقصين كاسرون ومكسورين
كطابة من قنسرين او جنيات ميافرقين
او رشرش من القزوين او هيجة في الباسفين
او حمر وحش فنانين وأرناؤوط معلوفين
أو خيالات بيتهوفين او ضربة قد لا تهين
كبخار صاعدين أو دخان دائرين
راقصات راقصين كعقول الفلاحين
كعيون الغزلين
كعيون الغزلين !

الفارياق والفارياقية بردّة لبنانية وقتلة سلطانية

يبرمون ويبرمون راقصات راقصون
مثل رحىً في طاحون ونغم ثوانٍ لشوبرين !

بتانغوين وكونغوين ورومباوين على بيغين
أوشو كولاطا جوزفين أونجينسكين مع كرسافين
أو آليس عجب لافالين ومرتاهاري كريب دي شين
أوطام طام طام واينيو كين أو رسم روبير للنابولين
أو « رندة » للزراعين أولوحة المسخرين
او داود على صهين أو امـلي والبـاليرين
او فارس عزريل لهولبين وأخذ الجارية لسجين
ومثل جدل رياضيين ونقش بري، والمتحمسين
اونوسيكاآ الفيشيين او مهرجان فينيقيين
ولحن مينوه حزين وكادريل سياسيين
اوقصفة الكارمانيونين اولعبة للفاتحين
او كهنوم الصامتين اودوخة للباكانالين
او المريخ وفولكين على افروديته هاجمين
ومثل « سيفا » العالمين او مثل مبكى النادبين
بل فراشات معانين طائرات طائرين
كبعوض بطنين مثل دود طي تين
مثل هدب وظنون بين زورة الفتون
كتلفت الظنين عن شمال عن يمين
تتحرك بسكون تتطامن كالجنين

أضاغيث حالمين أباليس المدمنين
كقلوب العاشقين كشفاه الثملين
كعقول الفلاحين راقصات راقصين
فاعلات فاعلين
كامل كالكاملين
ضاحكات ضاحكين
ضاحكون ضاحكين
حور عين مثل التين يتثنين بلين
على قنه الهوهين ، هوهين !

القاز الأعظم مقرراً للقرار

هوهة الحون لغنة شمشون
حنانك حين وخلج جون
لفيفك تكافين فهم مكافون
عليك تآبين وجونة أمون
وهدم بانين وطواغيت زون
وطور سينين وحريقة قارون
وفقه قوانين صولون وشمعون
وبُر طحين ينزل بالطون

وثار تشين وحرم لاوون
وفقد تكاوين وقوم مشابون
يتشآء بو ن
كألف آمين

الجميع (عدا الهوهة وصلادم) يشهدون

يا قيدحور! يا قيذحور! وغثعمري غذعبري!

كحلاء العين تختم بخلق الجزع

(وجوقة قس يرتلون بهيبة ربابنة يهود يثرب)

وحق الماعون وحامض الليمون
ولون الليمون وقشر الليمون
وكن فيكون وبذر الليمون
وحن الجنون وزهر الليمون
ودق الهاوون وماء الليمون
وزيت الزيتون وجد الليمون
والحركة والسكون ومن عصر الليمون:
هوهة ملعون! و ابن ملعون!

دماوند ودنباوند، بتهويش الجميع

وأبو ملعون و جد ملعون
دون الدون جد مأفون

فهوهة الهون عليه كانون
لماني ومامون فالشنويون
وصفوف الصابون و المتكهنون
فاهل البطون وطرثوث قاوون
دمون دمون !
و من يهيمون بلسع يكوون
والمتلصصون وقرصان بيرون
ولسان فرجون لبو زيدون !

الهوهة

من الثرثريون يهدرون الي كالسيل يهبط عن ميلين ؟ من ذوو العفطلة المزوقة ؟ لكن آه! الي، الي! انا الحبيب! أتنسون؟ امسكيه ! انه يطير! اللعين ، اللعين يطير. عقلي يطير! لحيتي طارت! امسكيها! امسكيه! انظريه راكباً عصاة المكنسة ! امسكيه ، امسكيها ! واشيبتاه ! وابيضاض قرونياه ! امسكيه ! احرقيه ! صلادم يطير ، يطير ، يطططيرر!... ما ـ ما ـ ما الذي يصير!... آه اني اقع! وصلادم يطير!

عجائب المخلوقات كلهم بصوت واحد

بل ذاك فرس ابي الطيب الذي تراه عصاة من مكنسة

فرنجية ، يا أخرف من تسلط على الاوادم ! ارجله الاربع واحدة في الركض . لكن هذا شانك : ترى الحشبة دوماً في عين غير التي برأسك ! لو كان بك خير لرأيت صحيحاً وما بصقت على روح شاعرنا باهاناتك . لكنك كالبلعوس بلا خير ولا فائدة ! وقديماً علمتنا حب الفوائد بقلتها ، ياذا الرهق .

صلادم

اتركيه يا هذه المجنونات ! مالك ولمن لا بصر له ؟ وان شئت تبردين على خلقك وتفترين من شواظ مساكنك في دماء عروقك ، فتعالي معي نتنزه في الروضة بين فسح ظليلة وفسح مشمسة ، في حدائق حدائق ما عندكم لها مثل ولا شبه مثيل ! تعالي لاعبي سمك النهير ، وراقصي جنيسات الشمس في ظل نيلوفر وزنبق ، او فوق ورق غلفق وعلى طحلب رطيب .

النبت فيها دوم معشرق ندي ، والفصل دوماً فصل عناقيد العنب وعثاكيل البلح والموز والبرتقال . تعالي نشرب مياهها ، نتلمظ بها ، ونتزه العين بقعالها صافياً ومعكراً ، وينشد لنا روميتنا الحبيث من مثل شعره في الرازقي اللذيذ :

ورازقي مخطف الخصور كانه مخازن البلور
لم يبق وهج الحرور الا ضياء في ظروف نور
لو انه يبقى على الدهور قرط آذان الحسان الحور

له مذاق العسل المشور ونكهة المسك مع الكافور
وبرد مس الخصر المقرور
باكرته والطير في الوكور وعذر اللذات في البكور
بفتيـة من ولد المنصور املأ للعـين من البدور
حتى اتينا خيمة الناطور قبل ارتفاع الشمس للذرور
فانقض كالطاوي من الصقور بطاعة الراغب لا المجبور
فنيلت الاوطار في السرور
ثم جلسنا مجلس المحبور على حفافي جدول مسجور
ابيض مثل المهرق المنشور او مثل متن المنصل المشهور
ينساب مثل الحية المذعور بين سماطي شجر مسطور
وكل ما نقضي من الامور تعلة عن يومنا المنظور
ومتعة من متع الغرور ! ...

عجائب المخلوقات

من يتكلم ؟اي رومي شيطاني يمخط عفراً شمسياً ويطبخ هنا شعراً مسخرة ؟!
بل نحن نريد هذا العنعهة !
لننهش منه الجنجهة !
وقوفاً وقوفاً يا ملعوني الهوهة !

هـبوباً هبوباً يا محشوري الفـوهة !
ما مثلنا يبقى على ما بهم من موهة ! ...
فلنغرس الاظفار غرساً في عينتي ذي البوهة !

الهوهة

ويلتي ! أعلي تتمردون ، علي ؟ خسئتم وخسيء معكم كل وقاد للجحيم !

صلادم

يضرم حضرته النار ويلعن وقادها ! ما اسخف شاتم نفسه ، ومن يبصق على وجه في صفحة البئر يظنه غير وجهه !

عجائب المخلوقات

اليوم نتحرر من القيود !
اليوم تتصاعد منا البنود !
اليوم يوم الأصلح في ثمود !
وشعرات لحية الهوهة نبيد !
نبيد ، نبيد ، نبيد !

نبيـــد !

نبيـد ! نبيـد !

صلادم

رفقاً يا هذه الارواح الطائشة ! انك بهيجانك تأكلين منك شيئاً كثيراً . اذا قضيتكم ، بمنطقتكم ، على دولة الظلم ، فهل تقيمون دولة اخرى للظلم ؟ لعل هذه كانت الشنشنة الدائمة . لكن أليس احسن من نهشكم هذا النهش الاخرق ان تبعدوه عنكم ولا تصيخوا الى كلمه الا كهذر الهراء . احسبوه مجنوناً ! لماذا تلوثون ايديكم ايها الاطفال المجرمون ؟ لماذا تبتدئون بدوب تستعبدون انفسكم عليه ؟ لماذا تركضون عليه هذا الركض ؟ خذوا نفساً يا خفاف العقول .

عجائب المخلوقات

من المتكلم ؟ من الذي يخلط القطن بالصوف؟ هاه ، السيد ؟...

لوسيكرون ... احملوه ، احملوه ! هذا رئيسنا ! صلادم زعيمنا . لعل معك حقاً بما تقول . لكن انى ان يرحم من لم يرحم . انما دعنامن هذا الآن ، وتعال — تعال اركب على اكتافنا رئيساً !... ضع نفسك على هذه الاعناق الطووعة ، فانها حدباء وان خشنت .

صلادم

اليكم عني يا ايتها الدرخملات الثقيلة ونوكى خنازيب دالعين ! هل سمع احد بخالد وحر وقد ركب آلة الميت ؟ اليكم من هنا او البطكم في الاقفية ، او انفخكم الى القمر كأشياء اقل من سخام الدخان او فشغة القصبات والصوصلاة . تواروا قبل ان يشرورق بكم غطيط هـذا النائم الغـارق في نمارق الرؤى ترقص لها أسنة مندلعة الى آتون دماغه الحامي . يالك من زؤان صحيح !

عجائب المخلوقات

وما هو معناك انت ، اذن ؟ ألغز ، أم خرافـة ، أم فقاعة غليون ، أم فشغة قطنة مندوفة ؟ أحب ، ام كـره ، ام مجرد منظر ، ام لا شيء الا خبز الطابون ولت معجون ؟

صلادم

كان لي منذ ازمان ، يا اخوتي ، في سيارة الانسان ، صديق هو زرادشت الآسوي . لقد كان نبياً ، جليلاً فهيماً كاغلب صنف الانبياء

زمانئذ . غير انه برز برأيه على من سبقه منهم ، اذ فسر تطاحن الحياة الذي رآه ، هذا العراك بين مظهري الخير والشر ، الألم والارتياح ، الخوف والطمأنينة ، البناء والهدم ، الحب والبغضاء ، تفسيراً يقرب الى تمثيل الحقيقة والصحة عما جاء لغيره .

رمز الى جميع معاني الخير بالنور ، والى جميع معاني الشر بالظلمة ، وجعل لكل منهما الهاً ، الاول « هرمز » والآخر « آريمان » . ثم علم الخلق انهما يعبران عن ظاهرات الكون والحياة تجاه الانسان . اذ هما ، كما تشهد الحوادث المحسوسات ، في حرب شديدة مستمرة ، الغلبة فيها تارة لهذا ، وتارة لذاك . وبحضه المتواصل وقوة اقناعه جعل قوماً ينصرون هرمز زماناً ، فرمزوا الى نصرته باشعال نيران دائمة في هياكل معابد نثرت في المدن وعلى رؤوس الجبال ، تواكبها سلاسل تمتد في البلاد طولاً وعرضاً مما اشتهر عندهم بابراج الصمت ، وهي مراقد للموتى كانوا يضعونهم على مصاطبها ، فلا هم مقبورون معطون للظلمة ، ولا هم يحرقون فيقدمون للنور . وكانوا لا يتركون تلك النيران تخمد كدليلهم على ان الخير لا يموت . لكنهم ، مع مرّ الايام وتحجر التفكير التقليدي والعادات الخرافية ، غاب عنهم ان الخير ليس في ضوء النار بالمعابد ، وان ان هو الا رمز

وصورة . لذلك صارت عندهم لها عبادة ذات طقوس مضحكة ومآتي عتوّ ومهزلة . وبهذا انتهت النصرة ، في الحقيقة ، لآريمان وان سموه هرمز والبسوه جلده . ولا يزال كل ضعيف الفكر من العابدين هذا شانه مع آلهته حتى اليوم .

غير ان عميان المتعبدين قلوا في زماننا العتيد . فخير النور ، بما جهدنا وعملناه : سابقنا بروميثيوس ولينتئل وانا ومن جاء شبهنا ، يستفحل على ظلمة الشر ويتكبر . طبعاً لن يقو الاول على ملاشاة الثاني ، كما لم يقو هذا على افناء ذاك حتى في انظم ازمان عزه .

ذاك انهما روحان خالدان ، لا يموتان ، ينبتان في كل وقت ومكان احدهما ملازماً للآخر وكل منهما ظل لاصق بصاحبه . فهما في كل ذرة وفي كل نفس تعقل اولا تعقل . لكن غلبة النور في الانتشار ، اذ حيثما يحضر ينوارى الظلام مختبئاً في قماقم سليمان . وهذا واضح مشاهد .

اما معناي الذي تسألون عنه ، ايتها العجائب الجاهلة والفذلكات المجلبقة ، فهو ما اقوله لكم نفسه . فانا المعرفة والنقد والتبيين . انا أشعة النور ، عنصره المزدوج . انا الحركة والشكل . انا روح الشعر . ولعلي روح الروح .

فانا الذي يتصرف ضمن جبرية وجود النور والظلمة بكليهما معاً . استطيع ان اجعل حتى من الظلمة جمالاً وجلالاً للنور ، كما اجعل من العدو صديقاً ومن الصغير كبيراً . كظلال الاشجار تحت وطأة الشمس أعمل ذلك ، محولاً تلاصقهما بالاشياء الى مزيج سحر وسعادة تناسق من موسيقى الطبيعة . انا ، المعرفة والنقد والتبيين ، افعل ذلك . وهذا من سهولة طبيعتي .

من موت الربع الخالي ، وابديته الصامتة الدامسة ، انشأت حياة روضتي . ورفيقي نفخ في جبلة هو هتكم البلهاء هدى أقانيمنا المباركة ، فاخذت تتحول بها من عالم الى عالم وخليقة الى خليقة . ويوم يتصل على الارض عالمه بروضتي ، يومذاك انشدوا ، ايتها البلعبيسات المنفاصة ، اغنية جديدة ، بمعناها تقول :

هرمز قد غلب اهرمان
ودنيا الهوهة صارت جنان !

عجائب المخلوقات

هاه هاه هاه هيه هيه هيه هييه !
صلادم هرمز في رأس مجنون
لينتئل كامل أكبر مفتون
بروميثيوس زفيسيوس مخنون معنون
هوهة بوهة ادخل باتون
ونحن الى حسو خمارة اندرون !

صلادم

رحمة الكون على هُهة رحمة من عمم ومن خصصا
لو كان يدري انه خارج مثلك من جرذانه لاختصى!

اهل الصوف يودعون بناي مثقوب وقيثار مندوف

(ويلزوم ما لا يلزم)

كراماي معجزايا مجاهدات الاسرايايا
هوهة من الفلايا قاب قوس او ثنايا
قادرون بكطاشايا مبكرون و تفتازايا
نابلسي و بورينايا هبطا مرسيليايا
فارتفاع الرفعايايا مثل أكل للحيايا
مثل بلع للمدايا والزجاج كسكرايايا
فجلال دنيانا الرزايا و «بالرباط» كالبلايا

عذرنا جبر الجبايا طمس سرداب الدنايا
تسعرج نحو العلايا من رؤوس الهملايا
غيبة الحس خبايا تجليات بقلاوايا
ليس باللوح خفايا فامحينه بالمحايا
قلم يرقم هبايا بين سعدى وليلايا
وفتايا الافتدايا خنفشار راب شايا
عرّف الحق عرايا من جسودٍ كالخطايا
عقبة الجمع دعايا وكشف وحدة الرقايا
قد خلقت لتعرفايا سوق ظعنٍ يتطايا
كم انختم في فنايا يا مخاليق البرايا
كيلومتراتي صُوايا مقاماي صعودايا
ضلتي مثل هدايا حاويات حاويايا
ايه هوهة! يا هوايا انتا نبكيك نايا!
كغوانٍ من «ملايا» وبدمعٍ طافيايا
مثل مزراب ابشريايا او كدلف بالسرايا

الهوهة

انني ضاعت قوايا جزئياتي وكلايا
انني نور عمايا ففناي كبقايا

وبقايا يتطايا

الحلاج يندف بالفنيد

(وجعثل بن عاهان ، القاضي بافريقية ، يهز هز برأس عنيد)

انا حق بالتحقيق ذاتيا أنا عين أنف اذن واعمية

أنا هوهة التهويه دون تهاويا

قد كنت سنا بين ضرس نابيا

حتى خلعت لاكلي النخاليا

سطران هامشيان. طويلان مسطوران.

(واحد فرقة من علماء واحاجي ، الشقائق النعمانية » ، والآخرون أفاضل من كهابل روم ، العقد المنظوم » . كلهم يذكرون ويغرسون المخالب في ابن خلكان ، وهو بينهم كتمثال « رودس » ، يتوقلون في شواربه من غير رحمة ، ولسان حالهم جميعاً المثل : « سوء الاستمساك خير من حسن الصرعة ! »

خانقاه خانقايا قوتنا قوت الصبايا

علومنا في الدين ثايا أو ألف من حول بايا

في تكايا وزوايا وارتضاع بالركايا

ففطام بمرايا لمريد في الخلايا

طرقات للولايا في رقاب الاوليايا

تذكرات وحلايا بقلوب الشيخ فايا

خانقاه خانقايا قلنا قولاً دون غايا

فهمك فيه الكفاية فانزلن تنزيل راية
هوهة كبري خطايا !

صلادم

تي مهازل في الروايا وماس في العلا يا
كاوراد اللانهايا او طلاسم الرقايا

الفارضي والمواكبي

وتي كلام له خبايا معناه ليست من ُنها يا
بل تجانن وجنايا يطويا بيد الطوايا
وغبش حبر بالدوايا او كنان وحمايا
فخموري في قهايا وقبلتي الفان مايا
وهل الحق سوايا ؟ من وبي والى لا لايا
فشمولي شبه انحلايا وحلولي كرهت منايا
وروح روحي رواحيايا كوجد مجدي مجيديا يا
وشربك شرب شرابيايا كوصلك وصلي وصاليايا
قل: كنورلك في هوايا كالاوادم مع الحوايا
وجبران جبريل النبايا كضحكتي مثل بكايا
وخلتي مثل خلايا والطاهرون كالبغايا

فانت انت أنا يايايا وكرمتي ذي الدنيايا يا
ونظم سلوك التائيا يا محبة فؤادي بحتايا يا
وأكل ما كلي رؤاياياي وكمال تكملي الهيا يا
ونقص الانسان كماليا

يا - يا

الاسماء الخمرية

(بين حسان و اطايب ورموز الهيكل و تصاوير مصريولوجية)

ياقوت عرش حشاشتاييا كبريت احمر «بتافيا» بيا
لمحيو العربي غراميا بيا لذكتور مكسيموس خلطيابيا
فتوحاته مكاويا و يا وعنقاؤه حديث خرافيابيا
رحماني وحدانيا بيا ورهباني ، وأوثانيابيا
فرقائق المعانيا بيا دقائق فلائق الصوافيابيا

الهوهة ، وقد طفطف

كفى ! زهقت ! يا بطون البواطيا
يا مزيج انمزاج البساطيا
حشالات ما في القنانيا !
الي ! صلادم « جوداميا » !
خلصوني ! خلصوني ! خلصوني ! خلصونيا !
منه هو يا هياهيا !

منه ، منه ، يا الاهيا !
منه ، مني ، منهم ، يا ملاهيا !
من هذا الصلادم المباهيا !

اعشى قيس

ولقد شربت ثمانياً وثمانيا

القدح الشاهد

وثمان عشرة واثنتين واربعا ! ..

الفارياق

ستي ان اعياك امري فاحمليني زقفون !

الفارياقية

سيدي ان اعياك امري فالبسني البنطلون !

الهوهة

(واقعاً في هند الاحامس)

انا انتهيت من امري فليس لي سوى خمري
وان ادخل مع الفرس فيما لهم من العرس
او من فراش على الجمر

جيش الخلاص على كراسي الهزاز

(في قرار عميق . ترافقهم بنات وردان وجنادب من اهل الوتر بيسون فستر)

أكلوني البراغيث بعثقوني شعاثيث

ركبوني المفا مفا مفا ...

ليث

الروحاني

(في قرار العكس، وبالقرطين التفقة والتفتاف، ومن حوله جعل وكبرتلات تشهق)

أمنا امنا امنا ثيت راح الكيث والكثاكيث

ذهبت ذهبت بلا...

بلاعيث

الشينقور المخيف بين زبانيا والزبين

(في نغمة للفتة)

بيث بيث بيث طارت عنا الفثافيث

علي هة تبيـ...

تبيث

نغمة لفتة العكس

(لنورة الساحرة في اكليل من كسابر عاج وكسبرة)

حمدريث حمدريث آكلات الحثاثيث

بالهوهة تعيـ...

تعيث

الجميع يهدرون

دَيثاني دِيث دَيثاني دِيث

ديشـــائي ديث د يـــو د يث

ابن الفارض يتبعه البوصيري

(يذكر ويرسل من عبر التائية تابيناً دامعاً، وكلاهما
على براق دائران، وقبلتهما محجة الابروق)

متى عصفت ريح الولا قصفت اخا غناءٍ، ولو بالفقر هبت لرّبتِ

« واضطرب الجميع واختلطوا، يا صاحبيّ، حتى انقلبوا مزلعبين كعاصفة من الرياح والامطار. فشحطت في الثارجيلة، نافخاً طابات في الدخان المتجمع في فمي. تلاشى كل شيء. تواروا جميعاً، كما لو انهم لم يكونوا الا غيوم اول الربيع تمشي في سياحة مع خفيف الهواء، وذلك بصوت الماء المصبوب على نار من هشيم.

« ثم شعرت كانما اولى اضواء الفجر تخترق السجف الحريرية العريضة الحمراء.

حوالي الفجر

أيمان امرأة كتبتها على الموج .

سوفوكليس

(من دراما مفقودة ومجهولة)

وقال، وقد مالت به نشوة الكرى نعاساً، ومن يعلق سرى الليل يكسل:
«أنخ! نعط أنضاء النعاس دواءها قليلاً، ورفّه عن قلائص ذبل»
فقلت له: «كيف الاناخة بعدما حدا الليل عريان الطريقة منجلي؟!»

الخطيم

لعمر أبي بشر لقد خانه بشر على ساعة فيها الى صاحب فقر!
فما جنة الفردوس هاجرت تبتغي ولكن دعاك الخبز أحسب والتمر
أقرص تصلي ظهره نبطية بتنورها حتى يطير له قشر
أحبّ اليك، أم لقاح كثيرة معطفة فيها الجليلة والبكر
كأن أداوى بالمدنية علقت ملاء باحقيها اذا طلع الفجر
كأن قرى نمل على سرواتها يلبدها في ليل سارية قطر؟

حكيم بن قيبصة الضبي

وتابع محدث رفيقيه منهياً خبره المتداخل الغريب :

« فهذا ما دار علي من المشاهد المدهشة في غرفتي ليلة امس ، بعد ان تركنا المقهى . ولا احب الآن من قلبي الا شيئاً واحداً : هو ان ازعق في اذن كامل ، هذا الفتى النائم الذي يحلم بنا على مقعد هنا في عرض البحر ، أن ازعق في اذنه بيعاق اقوى من صياح هذه الرياح حين تنفجر اكياسها في يد حافظها :

« — قم يا هذا ، قم نعص الجبابرة ! قم يا قمقم ! هذا حلم ! ليس سوى ضغث وهواء . اما الحياة ، فهي امامك . كبيرة ممتدة كهذا البحر البعيد العميق . واسعة ، جميلة ، لا نهاية لها ، لا

يحوجها الا الذكاء ... الذكاء ... وشيء ... شيء ... من الاجتهاد !
واذا وقف بوجهك رذيل الطعم لكمة على منخره ، أو أحش أصابعك في فمه ، او سد بها عينيه . قم حرّك نفسك ! افقص قشرة بيضتك ! هدم حيطان نمرفتك ، هدمها ولو كشمشوم الحليق — على رأسك ! .. »

وهنا سكت محدث رفيقيه في رأس كامل . وكانما تحولوا جميعاً الى تقاطيع وجه رائع الحسن، كذلك الذي رآه في مخه هذا النافخ في الدخان نفسه منذ بدأ به حديث الهوهة وصلادم — وكان حديثاً كما رأيت أشبه بحلم في حلم عن حلم من حول حلم .

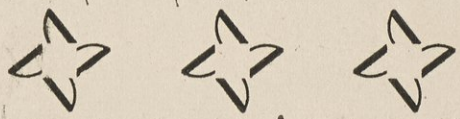

لقد كان وجه امرأة ذات جمال عذب وقوي . وكانت تقول تباعاً وترجيعاً لنافخ الدخان وكأنها آخر نفحة متلاشية من نارجيلته الخامدة :

— انهض كامل ! قف على حيلك ! الحياة تدعونا — تدعونا الى الحب ! أحبك ، يا كامل ، فقم نمشي :

نجذبني وراءك فنجري

راحتي براحتك ، على سطح هذا الماء الازرق الاخضر ، اللطيف كسندس حشيش ، المتألق كماس على زمرذ ، تحت ذرور ضوء القمر المندّى المنثور . انظر مـا أجملني ! لمـاذا لا تزال تغطُ

كجرو الخنزير ؟ أمات شعورك ؟ قم ، قم ، يا محشوراً من فكرك في قمقم ! ألا تشم عطري ؟ كالبنفسج والياسمين منظري ورائحتي ! برّيةٌ أنا ، جبليـة و رائحتي كالعرار ، تعبق بي أهوية النجود . وكالبحر ، وكخضار الوادي أيضاً ، وكالعسل أنا . حيثما أمرر أو أقتطف أحمـل شميم زهور المكان . قم ذقني بلمسك وعينيك . انهض : أنا الحياة ، امامك باجمعها . أنا لذة لاتوصف حتى في الاناشيد . ولا في اناشيد الاناشيد كذلك . أنا اوقيانوس لحم ودم حي يسعد ويتألم . لكنني لذة أيضاً . انما مالي أخاطب الحائط ، أو القبر الحائطي ؟ لمـاذا أنت مهموم لا تراني ؟ كل مهموم مفتون ! وكل مفتون جدٌ مجنون ! »

ثم خمدت وفترت وكأنها تنسال ذائبة عليه :

كأسود الخمر لحبيبي السائغة المرقرقة السائحة على شفاه النائمين

ولمـا لم يفق ، تلاشت بين ذراعيه حتى اختنق نفسه وشعر كانه يذهب ويموت ، كانه في مكان من مطاف الروح في القصص القديمة . شعر كامل كانه لا يريد ان يفيق . وكان يقول في نفسه وهو يفهم بحس عقله أنه في عالم الرؤيا :

ـ كل هذه الاحلام ساحرة . نعم ، رائعة ! لكنها احلام ! »

ثم صاح :

ـ أنا محموم ! محموم حتى الموت ! الكابن ! أين الكابن ؟ . . »

وافاق .

نطر يفرك عينيه . وكان الفجر قد صار له ماضياً منذ ساعة أو ساعتين ، وكانت الشمس عليه ، والسماء والبحر زرقتان متصلتان ، لا متناهيتان جداً ، وكدائرة كونية هائلة من حول نقطتها ، والعرق لزج على جلده ، يرطبه كزيت الزيتون . وفكره :

رأسي امتلأ من الطل وقصصي من ندى الليل

وكانما يرى من خلال غبش عينيه المستيقظتين فتاة مساء الامس . واكتمل له الوعي على صوتها يزقزق :

ـ أيه ، يا حرام ويا عيشوم ! اسمح لي ، يا سيدي ، أن أشكرك كثيراً على احتمالك كثير ازعاجي ! فقد حفظت لي الحقيبة ، وأنا نسيتها مثل الضائعة بالامس مساءً . نسيتها لما رحت لاجلب أحداً أو أفتش على أخي الصغير كي يحملها لي الى الكابن . حفظتها لي معك طول الليل هنا ، فاشكرك كثيراً كثيراً على كثير ما أنت لطيف وظريف ، يا سيدي !

« أخذوني الى العشاء في دقيقة ما تركتك ، وكان طيباً ، يا سيدي ، والبحر الهادىء يجوع كثيراً . ومن بعدها طرنا نرقص ونغني على الراديو والغرامافون ، وأنا أحب الرقص كثيراً ، يا سيدي ، و « الجاز » دائماً يأخذ عقلي ،

وعقلي مثل الفراشة الماونة . ولكن يا حرام ، في آخر السهرة انكسر الغرامافون ، فكدت أبكي يا سيدي ، والراديو ما كان ينفع شيئاً أبداً أبداً ! « فيري باد ، فيري باد ! » بعدين قلت لنفسي صباح اليوم انها ضاعت هذه الحقيبة ، وندمت كثيراً كثيراً ، يا اسيدي ، لاني لم أرجو من لطفك أمس أن تحملها لي الى الكابن . وصباح اليوم تذكرتها لاني كنت أريد فستاني الرمادي السبور ، وتذكرت فستاني الرمادي السبور في الحقيبة ، وبعد دقيقتين تذكرت كمان أن الحقيبة بقيت عندك ، يا سيدي . « ثانك يو ، ثانك يو فري ماطش » ، يا سيدي ، على كثير لطفك وغضك عن كثير ازعاجي . ولكن « بليز » ، من فضلك حط عينك عليها قليلاً أيضاً ، قليلاً جداً صغيراً ، لبينما أفتش عن أخي الصغير ليأخذها لي الى الكابن .

« لكن أنت ، يا سيدي ؟ أنت ، يا سيدي ، هل نمت هنا طول الليل ؟ أنا ما أنتظرت أراك هنا ، وكنت بالحقيقة محتارة كثيراً كثيراً أين أراك يا سيدي . لكن بقا انا رائحة ، فلا تؤاخذني ، ويا حرام ويا عيبشوم على هذه المسألة التي عذبتك فيها كثيراً كثيراً . أنا رائحة أفتش عن أخي الصغير ، وبعد دقيقتين يجيء يحملها لي الى الكابن . أنا رائحة ! كودباي ، يا

سيدي ! لازم اسرع ، لان الماما منتظرتني على الفطور ، وأكل الببور طيب ، طيب كثيراً ، يا سيدي . أنا رائحة ! كود - باي ! بعد دقيقتين أكون هنا تماماً مع أخي المنعون الصغير ، وذلك ليأخذها لي الى الكابن ! »

وكان كامل ينظر الى شعرها من
خلال لفاعه وعمش عينيه مثل بحري
فاتح فاه وذي شيء من سكرٍ أو بله .
وكان كانما في قلبه دودة حلاوة تدغدغه
من حديثها . فلما انتهت من هنبشتها قال :

ـــ الى الكابن ؟ ! آه ، أيوه ، أيوه ! »

ثم فرك جبهته كمن به وجع مبهم في الرأس ، واردف :

ـــ أنا ظلمت طول الليل سهران انظر حقيبتك لئلا يأخذها أحد !...
ولو ما جئت الآن كنت ذاهباً حالاً وسريعاً أنشر شيئاً عنها في جريدة الببور . ويمكن ، مع ذلك ، اذا كنت تريدين ، أن ننشر الآن شيئاً فيها بخصوص أنك رائحة ! ... أقصد رائحة لتجلي أخاك الصغير ، ليحمل لك الحقيبة ! وبعدين نذيع أنه حملها

لك الى الكابن . وأما أنا ، فما في لزوم لذكر شيء أبداً عني!..»

وما أصطبرت الغزالة على كلامه ، ولا فهمت منه الاواسط او سمعت آخره . طارت لتجلب اخاها العفريت الصغير .

أما هو ، فتبعها بالنظر ، دائرا برأسه كأنه على برغي من عنقه . وتمتم له هاجس في قلبه :

ـــ النسيم منعش ! »

ثم برم برأسه الى استقامته ، وخاطب الماء والهواء :

ـــ أظنني سأفطر اليوم ! »

ذلك انه كان قد نسي من زمان عادة الاكل في الصباح ـ سوى فنجان قهوة يبيت عليه حتى نهايات الظهر .

ثم انكشط وقام وكأنما طيف المائدة كانت بلقيساً تدعوه :

لبأت حبيبي الى جنته وبأكل ثمره النفيس

:

ثمت

تعليقات

تعليقات

الصفحة

١٠و١١ الصورتان اللتان تمثلان رقصاً « باكانالياً » هما (من كتاب « الرقص » ، لميوماندر - نشر فلاماريون - باريس) عن دورق روماني . ويلاحظ في احداهما شكل ملاك مما يدل ، بحال اصليتهما ، على امرين :

١ - زمنهما . ٢ - تسرب المعتقدات اليهودية - المسيحية الى الديانة اليونانية - الرومانية وطقوسها .

او انها قد تدل على العكس تماماً ، فتمثل أثر الاخيرة في الاولى ، فيما اذا كان شكل الملاك المذكور هو صورة « لايريس » رسولة الآلهة . وكلمة « آنجلوس » اليونانية (وهي مقابل ملاك) كانت تعني « رسول الآلهة » . ولعلها في الاصل فارسية قديمة ، أتت من اسماء ونعوت ارواح العبادة الزرادشتية .

اما بقية الصور الكلاسيكية في هذه الصفحات ، فاشهر من ان تعرّف ، ما عدا التي يبتديء بها فصل « القارعة » . فهذه فريدة ، طريفة ، وعربية . اخذتها من كتاب ر . ا . نيكلسون في ترجماته « شعر ونثر شرقي » ، وهي في الاصل من مخطوط لمقامات الحريري ، وتمثل شخصيته « الخالدة في الحكاية العربية » شيطان العرب أبا زيد السروجي غاطساً بين القناني والقيان في حانة عانة (المقامة الدمشقية) .

واما «الرأسيات» التي انتخبتها لمعظم الفصول من سوفوكليس، فلان ابا المأساة أجدر من تتوج باسمه قصة «كالازليان» هي من نوع قد يكون مسخرة المأساة، او ربما مأساة المسخرة! ...

وأما الرأسيات العربية، فان هي الا «ليليات» بدوية أوردتها كأنفاس شعرية تتمازج متصاعدةً حول حلم كامل من ليليه معاً: ليل حياته وليل رؤياه.

ص ١٤ نصف رباعية الخيام هذه هي من تعريب السيد احمد الصافي النجفي صاحب «الامواج». ولعل خيامه هذا جاء آية النقل الادبي الحديث في لغتنا، وبين الترجمات المجيدة في مختلف اللغات. وهذه كلمة لا يصح فيها القول: «وشهد شاهد من اهله».

ص ١٥ جففتها، منذ ابتدأ في نزوله، نعمته واهله واقرباؤه، مدرسته وبلاده وبلده، والاختلال الحاصل ما بينه وبين جميع ذلك.

حاولت بهذه العبارة ان اعمم واختصر مسرعاً بقدر الامكان مأساة الشباب الشرقي المثقف، الذكي والحساس والمنحصر بين شتى ظروفه وافكاره، وخصوصاً في فترة الازمات التي أعقبت الحرب الكبرى.

ص ١٦ ... جمعية الاحياء الذين اقرفهم الخ ...

يتهم الناس في العادة، بحالة عدم وجود السبب المبرر، من يتهمهم او من يرون فيه عدواً او نقيض مصلحة. أما كامل، فنقطة اختلافه ونشوزه انه يتهم كوناً باسره، كوناً اعمى

بجماده وحيه ، أعمى تجاهه فلا يراه ، ولا يتهمه ، ولا يعاديه بسبب وايجاب .

و يسخر من الكتاب ... بان يراه هذيان كلام الخ ...

للمعري :

ماالشعر، ماالنحو ، ماالكلام ؟ كلام بكلام بكلام !

وله ايضاً :

يحدثها ما لا تريد استماعه ولم يبق عند الشيخ غير كلام!

ومع ذلك تجده يردد المعنى التالي اكثر من مرة ومرتين :

وماكانت كلام السيف يوماً لتبلغ مثل ما بلغ الكلام ...

ص ١٧ تري الفقرة «واما قراءته الخ ...» بعض عدم التناسق الذي اردت اظهاره في نفس كامل وتفكيره ، اذ لا تآلف في وجود التفريق بمريض ذوقه بين نوع حكمة « الجامعة » ونوع شعر « نشيد الانشاد ». فكلاهما من منطق فلسفي وتعبير شعوري واحد . هما مكملان كل للآخر ، وكلاهما شبه مادي التفكير والاسلوب والنتيجة . تجدهما مترافقين في التوراة ، واحدهما قائماً بناء على الآخر . وتجد تفكير ذلك في الغالب ، تعقيلاً وشعوراً ، حيثما تجد احدهما : فهما مترافقان في لوكريشيوس ، وعند ابي نواس ، ومع الخيام ، وعند شكسبير وشلي وبيرون ورونسار والغنديين . وحيثما يحاول شاعر اقناع الحبيب بمغامرة الحب تراه يقول : « الدنيا فانية ، الكل باطل ، وانت جميلة ، وانت كل شيء ،

و ... لا تدع الفرصة تضيع ! » وهكذا « فالجامعة » مقدمة منطقية « لنشيد الانشاد » ، وهذه تكاد تكون النتيجة الحسابية لتلك . فكلام الجامعة بن داود الملك في اورشليم :

« باطل الاباطيل الكل باطل ... فمدحت الفرح لانه ليس للانسان خير تحت الشمس الا ان يأكل ويشرب ويفرح ... »

الجامعة : ١ - ٢ ، و ٨ - ١٤ : تعريب البروتستانت

ص ٢٠ ... من حكمة الاجيال التي لا ايمان لها .

لمونتا لامبير :

« التسامح فضيلة الاجيال التي لا ايمان لها » .

اما القصة المشار اليها في هذه الصفحة ، و التي اوردتها بعد وجعلت منها شبه مدار لبقية هذا الفصل ، بل وسللت خيوطاً محورية منها حتى قراءة « الازليان » ، فهي قصة الدكتور « اومنوبيل » لاناتول فرانس في خالدته « جزيرة البنغوين » . ولعله رمز بهذه الشخصية الغريبة الطائفة بين دغل من قهقهاته الرابيلوية الى نوبل مخترع الديناميت وواضع الجوائز الشهيرة . هذا ، وقد كان من تعلقي بهذه النادرة التشاؤمية المتهكمة ان سبق استعمالي لها في اقصوصة نشرت في مجلة « الثقافة » الدمشقية بعنوان « من يوميات رجل يقيم على حدود العقل ! »

ص ٢٢ استعمال « العجوز » (في السطر ١٥) بصيغة المذكر هو اتباع مني لاستعمالها المولد العام في الحديث ، وفي كثير من الكتابة ، وبغير اخلال بقياس لغوي على فرض اعتراض قياسي ، وباستساغة

سماعية .

لماذا لم تشد جنود الكورسيكي الى سوريا بعد مصر و فلسطين ؟
لانهم كسروا عند اسوار عكاء !

ص ٢٣ ... خنيف مكر كالقديس .

لا اظن « قديساً » : دينياً ، سياسياً ، او ادبياً ، يكون بغير مكر . على ان المكر الخفيف كثيراً ما يكون أروع واعمق وأمكر من ثقيله و كثيره !

ص ٢٤ الطوائفية .

النسبة الى الجمع مشهور انه خطأ . ولكن لو جعلنا النسبة في هذه اللفظة الى المفرد لحصل لنا ما لا يوضح المعنى المطلوب ، بل لحصل معنى آخر هو غيره تماماً . فالمقصود ليس « الطائفية » ، بل مفهوم نسبة « ملوك الطوائف » . واعتقد ، في مثل هذه الحالة ، بجواز نسبة الجمع بشرط استساغة الذوق . والامر في هذا عندي شبيهه في النسبة الى الفعل ، كلفظة « التخيلية » الواردة في الصفحة ١٢ مثلاً .

ص ٣١و٣٢ اذكر هنا ، كمثل على البضاعة الادبية في دور تمثيل هذا النوع ، النكتة التالية التي حضرتها بمسرح منها في اميركا ، وهي نكتة محتملة في مثل هذا المجال بالنسبة الى سواها ، خصوصاً مما رأيته يعرض في بعض تيارات باريس . فقد كان الوقت وقت أواخر سيادة « قانون الجفاف » المحرم للمسكرات ، والذي تفشت تحت ظله انواع الاضطرابات والاوباء

الاجتماعية والفكرية والاخلاقية في المجتمع الاميركي. وكانت حملات المفكرين والكتاب والادباء متجهة عليه من كل صوب، تفضح عيوبه، وتحط من شادي أزره وواضعيه، وتصور نتائج سخفهم التعصبي وكيف كان من جرمهم ان جعلوا اكثر من نصف المجتمع الاميركي مجرماً وقانونهم لغواً. ونكتة المسرح «البورليسكي» التي اشير اليها، بنت هذه الحالة، هي ان شرطياً يوقف امرأة تحمل قنينة ملفوفة بوشاية واحد قربه، على ما اذكر، يدله عليها ويقول ان القنينة فيها «ويسكي». واذ ينزعان عنها الورقة يصيحان: «ويسكي، ويسكي!» وتبدو عليهما شهوة لهذه اللقية المحرمة. ثم يفتح الشرطي القنينة ليذوقها باسم القانون، فما يكرع فيها جرعة حتى ينتفض متلوياً يكاد يقيء امعاءه. فالسيدة شدهت امام مفاجأة الشرطي، وما استطاعت ان تخبره قبل ان يشرب بانها آخذة ما في القنينة الى الطبيب للفحص.

ص ٤٠ أسبلت على جفنيه نفحات جنوب بليل من مطلع سهيل الخ ...

خلطت هنا، في جدل العبارة، بين الزمان والمكان. فالمقصود ريح الجنوب الآخذ بالهب من حين مطلع سهيل، أي في مراوح أواخر الخريف واوائل الشتاء.

ص ٤٨ وكما قال الشاعر ...

الابيات للشاعر احمد الصافي من قصيدته: «الشاي».

ص ٥٩ ... قنصل قندعل ...

في القاموس: القنصل القصير، وفي الجاري مقابل CONSUL .

ص ٦٠ حن الحن مجنون الجن

المصراع الثاني يفسر غريب الاول ! فالحن ، بالفتح ، مجنون ، والحن ، بالكسر ، خلق من سفلة الجن ، او بهم منهم ، فهم بين الانس والجن .

ص ٦١ خذ يا هوهة !

في القاموس : رجل هوهة ، بالضم ، جبان . وفيه : هَهَ يَهِهُ ، بالفتح ، هَهاً وهَهةً ، لثغ واحتبس لسانه .

وفي « جمهرة اشعار العرب » لابي زيد القرشي القصة التالية التي استجلبت شعري في هذه الصفحة من شعرها :

... ويشيد هذه الاحاديث عندنا في الجن وأخبارها وقولها الشعر على السنة العرب ما حدثنا به المفضل عن ابيه عن جده عن ابن اسحق عن مجاهد عن ابن عباس ، قال :

« وفد سواد ابن قارب على عمر بن الخطاب (ر) ، فسلم عليه فرد عليه السلام . فقال عمر : « ياسواد ! » قال: « لبيك يا امير المؤمنين ! » قال : « ما بقي من كهانتك ؟ » فغضب وامتلأ سحره . ثم قال : « يا امير المؤمنين ، ما أظنك استقبلت بهذا الكلام غيري؟ » فلما رأى عمر الكراهية في وجهه ، قال : « يا سواد ، ان الذي كنا عليه من عبادة الاوثان أعظم من الكهانة ، فحدثني بحديث كنت أشتهي ان اسمعه منك ! » قال : « نعم ، يا امير المؤمنين ! بينما انا في ابلي بالسراة ، وكان لي نجي من الجن ،

اذ اتاني في ليلة وانا كالنائم ، فركضني برجله ، ثم قال : « قم يا سواد ، فقد ظهر بتهامة نبي يدعو الى الحق ، والى طريق مستقيم ! » قلت : « تنح عني ، فاني ناعس ! » فولى عني وهو يقول :

عجبت للجن وتبكارها وشدها العيس بأكوارها
تهوي الى مكة تبغي الهدى ما مؤمنو الجن ككفارها
فارحل الى الصفوة من هاشم بين روابيها واحجارها ! »

الى آخر القصة ...

ص ٦٧ يا سفسطائياً ماكراً الخ ...

في قول هرمس في بروميثيوس « ايسخيلوس » ، يذكر بما جاء بعده بحوالي خمسة قرون للوسيان من وصفه المسيح ، اذ قال عنه انه « السفسطائي المصلوب » .

ص ٦٩ صلادم الشعراء .

في الجمهرة خرافة فحواها : ان ابن المرزوي حدثه ابوه بواقعة حدثت له مع جني انشده بعدها شعراً ادعاه لنفسه . فلما فرغ من انشاده قال له : « هذا الشعر أشهر في معد بن عدنان من ولد الفرس الابلق في الدهم العراب ! هذا لعبيد بن الابرص الاسدي ! » فقال (الجني) : « ومن عبيد لولا هبيد ؟ ! » فقال (ابو ابن المرزوي) : « ومن هبيد ؟ ! » فانشأ الجني يقول :

انا ابن الصلادم أدعى الهبيد حبوت القوافي قرمي أسد
عبيداً حبوت بمأثورة وأنطقت بشراً على غير كد

ولاقى بمدرك رهط الكميت ملاذاً عزيزاً ومجداً وجد
منحناهم الشعر عن قدرة فهل تشكر اليوم هذا معد ؟! »

فقال (ابو ابن المرزوي): « اما عن نفسك فقد أخبرتني ، فاخبرني عن مدرك . » فقال (الجني) : « هو مدرك بن واغم صاحب الكميت . وهو ابن عمي . وكان الصلادم وواغم من اشعر الجن ! »

صلادم خير من ابيكم عادم ... الى آخر البيتين ...

وهما محرفان عن بيتي بشار الشهيرين ، اللذين مطلعهما : « ابليس خير من ابيكم آدم ... »

ص ٧٠ يلاحظ تناقض لفظي بين قولي صلادم للهوهة : « ... ها أنت كأنك كبرت على نظري ستة دهور » ، وقوله بعد ذلك في الصفحة التالية : « ... ها أنت بقضك وقضيضك كما كنت من ستين الف قرن » . فهذا تناقض مظهري ليس الا من طبيعة مجاري الحديث وتلوياته مع تحول رياحه . والكلام كديك الطقس .

ص ٧٣ اسم « الجحيم الاول » ليس لغير التفريق بين جحيمي الحقيقة والخرافة .

ص ٧٨ فصاحة الطمطمانية .

طمطمانية حمير ما في لغتها من الكلمات المنكرة .

ص ٧٩ البراص ، بفتح الباء وكسرها ، جمع بُرصة ، وهي منازل للجن وبقاع لا تنبت . والهولة ، على هول أو هولات ، هي العجب .

وقد سبق للدكتور زكي ابو شادي استعمالها بمعنى مخلوق جني قزمي درخملي غريب في تعريبه « لعاصفة » شكسبير التي ظهرت بمجلة « المقتطف » .

اذهب واحتف قليلا . . .

ان اشياء واستعمالات كثيرة نراها اليوم ونظنها مستحدثات في حياة العالم او محلية . لكن من المعروف، مثلاً ، ان « الترابة المسلحة » عرفها الرومانيون واستعملوها في بنائهم كما ربما عرفها ايضاً سواهم من اهل المدنيات السابقة . والقار والنفط ومترادفاتهما ، واوصافهما واوصاف ارضهما ، ذكرت من قديم الزمان في كلاسيكيات مختلف الامم . وربما كان مستطرفاً معرفة ان استعمال الزفت نفسه وبلفظه ، وطلاءً بلفظها ايضاً ، وربما بنفس اشكال استعمالنا له اليوم ، أشار اليه الفيروز أباذي في تأليفه العظيم من حوالي خمسمئة سنة . كذلك ايضاً ذكر الافيون وخواصه غير مرة وبدقة وبجلاء . ومعظم بسائط الحركات الميكانيكية كانت ، كلعب الاولاد والكبار ايضاً ، منذ زمن مدنية النيل ، هي نفسها المعروفة التي تستغرق اليوم كثيراً من الفعالية الانسانية . لكن من أندر الطرائف التي صدفتها في هذا الباب شرح الفيروز آباذي على لفظة « احتف » . فقد جاء له : « احتفت المرأة ، أمرت من يحف شعر وجهها بخيطين ! » فليس حلاقونا ، اذن ، بلعبتهم على خيطيهم لقلع الشعر ، الا نقلة الفذلكات الآلية الخفيفة التي اخترعها ألمعي المزينين والمزينات الاقدمين .

ص ٨٦ العارية ، مولدة ، هي طاسة الشعر المستعار .

ص ٨٩ ... ضارباً عصاة التسفار على طخر ورخيف ...

« الطخارير في لسان العرب من السحاب قطع مستدقة رقاق واحدها طخرور وطخرورة . وهذا الوصف يقابل المراد من لفظة CIRRUS في وصف الغيوم . وهو ضرب من الغيم يكثر في المنطقة العالية من الهواء الموصوفة بلفظة « ستراتوسفير » الاعجمية ، فدعيناها به . » (مجلة المقتطف : دسمبر ١٩٣٨)

وفي القاموس :

« ... طحرورة ، بالضم ، لطخ من السحاب » . ثم : « الطخرور ، بالضم ، الطحرور ... والطاخر الغيم الاسود ، والطخر الرقيق منه . »

ص ١٠١ اسماء الأمكنة التي في سطر ١١ وما بعد هي مزج بين جغرافيتي القاموس والف ليلة وليلة .

ص ١٠٣ شبان ارواح .

كانت العبارة في الاصل « شبان » بدون نعت « أرواح » . لكن عدت فلحظت بين الاسماء التي أوردتها ما هي لشيوخ . ومن الشيوخ شباب نفوس . ومن الشباب عجائز وخرفون . من الشبان من يترهبون ومنهم من يسفون ، ومن الشيوخ « تيتيان » يقف على رأسه في تسعينياته ، وانجلو يحطم تمثاله ابن خمس وثمانين ، والفيروزآباذي يبيع كتبه ليعيش ويؤلف بعد خمس سبعينه .

ومينكن ، محرر مجلة « مركوري » ، هو اديب وناقد اميركي معاصر . من كتبه : « في الدفاع عن النساء » يشبه التهكم ، و « مقالة عن الآلهة » ، ومن فذلكاته انه يحب بنفسه بعض اهل التصنع ويهيج عليه اميركيي « المئة بالمئة » (« هاندرد برسنت ») بفتلات عنده من مثل مواصلته ، مثلاً ، التغزل بالملكية وتقريظ الملوك ، الامر الذي لا اظنه ذا خطر على جمهورية الولايات المتحدة ، اللهم الا أن يعن على بال اهلها تمثيل بعض سينمائيات من نمط جديد تكون « سوبر برود كشيون » السوبر برود كشيون !

ص ١٠٧ ويلبسه مائلا بالشرابة من امام الخ ...

قد تكون « الشاربة » خيراً من « الشرابة » ، لكن تصح كلاهما والاولى استعمال كل يوم .

ص ١٠٨ بهذا السخيف المريض كامل لينتقل الخ ...

في مجلة « الطليعة » (عدد ٤ ـ سنة ١٩٣٨) مقال ظريف موفق للغاية ، موجه على لسان الدكتور طه حسين الى شاب تحكك به ، مذيل بامضاء علي صرطاوي ، جاء فيه : « ... وها هو ذلك المخلوق السخيف الذي يسمي نفسه في العراق « طبيب « ليلى المريضة » ، ونسميه في القاهرة الدكتور زكي مبارك الخ ... »

ص ١٠٩ فكم يصعب تحليل اثر حركة الحياة ؟

كتبت هذه العبارة على لسان صلادم في حالة كانت تعبر عنها بالوم اكثر مما تعبر عن صلادم ، فحركة الحياة

اليوم ، في شتى نواحيها ، تتجلى وتفهم اكثر فاكثر ، من صغيرات دقائقها حتى كبيرات تلبداتها وشمول مجموعاتها .

ص ١١٠ « ما أصابك تبلنصى ؟ » ، أي ما أصابك تخرج من ثيابك ؟

ص ١١١ ما في هذه الصفحة وسابقاتها وتالياتها من اسماء والقاب ونعوت جن وشياطين وعجائب مخلوقات ومساكنهم ، ومن ملائك وغيلان ودويبات وغريب حيوان ، وما اشبه وما الى ذلك من دعابة لاحقة في التلاعب بالحوشي والغريب ومضحك التركيب ، تحسن مراجعة معانيها اللغوية في القاموس وفي مفخرتنا « الساق على الساق » للشدياق . انما هناك احياناً الفاظ محرفة حتى لا تكاد يبين لها أصل . فهذه ندعها لمن يسره شقاء تحليل الالغاز وفك معميات اللغيات ! وكلمة « الحيزبان » ، في هذه الصفحة ، مثل على ذلك . « فالحيزبون » وردت ، وانما الحيزبان جاءت مني للسجع . على ان « الحيزبون » نفسها لم يجد لها حتى صاحب القاموس معنىً ، رغم انه المحيط سعة ، والدنيا في قنينة اختصاراً ، ورغم انه لم يترك لسابقه الجوهري صاحب « الصحاح » عورة مستورةً من جهة في جهاته ، ولا وجد في قلبه وعلمه ما يفيض عن مخزون حنانه وتسامحه اكثر من الترحم عليه مرة او مرتين ترحم مشفق هازيء ، ومن استصغار جوليفريّ لمخلوق ليليبوتيّ ! على انني بلغت باللغة العراض بضع مرات ، فسرت مع خبب جملتي سيراً أخذ بي في مجاهل الاختراع ، اذا تورعنا عن القول : بل التخليط ! ..

ص ١١٥ قيل هي الخمرة التي قصدت بزهرة الهمّ السارة هذه في شعر سوفوكليس. والبيت: «يا ايها الراكبان الخ ...»، في الصفحة التالية، سبق لابي العلاء ان استشهد به في اثناء حديثه عن روي الهاء والياء في مقدمة «لزوم ما لا يلزم».

ص ١١٧ هوذا لوسيكرون!

لوسيكرون، ركبتها من لفظتين يونانيتين: لوسيس وكروئوس. وهي تعطي معنى «محرر القدم». والثانية اطلقت لقباً في آثينا على شيخ خرف احيل على المعاش.

ص ١١٨ هذا الديوث الخ...

هذا النوع من الخلق لعب دوراً مذكوراً في عيش اهل مختلف الازمنة، وله بين ظهرانينا محل اولي في درجات السماسرة. كانت النكتة عليه كبيرة في كل مكان. كان له في الآداب مركز ممتاز. تجده يتردد على فصول بترونيوس ولوسيان، وربما لم يكن «الحمار الذهبي» لآبوليوس الارمزه. لا يكاد يفارق صفحات شكسبير الذي لا يني لاعباً به مقهقهاً عليه، ونافخاً زامراً في بوقي قرنيه. والقاموس العربي يطفح به وبالقحبة، مترادفاتهما ترقص بين كلمه بما يكاد يقرب من عدد اسماء الجمل او الاسد.

على ان ورودها هنا على لسان الهوهة ضد صلادم قد يقال فيها ما يقال من انه كان الاولى بها ان تنعت الهوهة نفسه. لكن ذا العيوب شتام يلصق صفته بغيره.

خذ خرقة المتصوف الخ...

خرقة المتصوف تكاد تكون اسم التواضع لسجادته اذا

كان سيداً ثرياً ، كما أن « سجادته » تكاد تكون اسم التسامي لخرقته اذا كان درويشاً معدوماً ! ... هذا ، وقد وردت بما يشير الى هذه الدلالة مرة ايضاً قبل مكانها في هذه الصفحة .

ص ١٢١ سعفص وكلمن .

في القاموس هذه الخرافة :

« وأبجد الى قرشت ، وكلمن رئيسهم ، ملوك مدين ، ووضعوا الكتابة العربية على عدد حروف اسمائهم ، هلكوا يوم الظلة ، فقالت ابنة كلمن :

كلمن ، هدّم ركني هلكهُ وسط المحله
سيد القوم أتاه ال حتف ناراً وسط ظله
جعلت ناراً عليهم دارهم كالمضمحلة !

اما مدين المذكورة ، فهي قرية شعيب عليه السلام ! واما يوم الظلة ، فهو عذاب يوم قالوا غيم تحته سموم ، أو سحابة أظلتهم ، فاجتمعوا تحتها مستجيرين بها مما نالهم من الحر ، فاطبقت عليهم ! (فليحقق !)

ولفظة « نهابر » الواردة في هذه الصفحة تعني جهنم .

ص ١٢٢ قس بن ساعدة .

لعل من الطرافة ان نذكر هنا ما جاء في القاموس تحت مادة ر و ح : « و روحين ، بالضم ، قرية بجبل لبنان . وبلحفها قبرقس بن ساعدة » .

واما غريب التفتفة التي ينطق بها ، فمن ميسور الغريب .

فاللووهة ، اصلاً ، تعني السراب ، والموهة ماء الوجه وحسنه ، وبوهة بومة أو بوّيمة .

والتفاتف ، في قول صلادم : « ألا تجيدون غير خزعبلات تفاتفكم القديم ؟ » هي ، بتعريف القاموس المبالغ في الاقتضاب ، مقطعات من شبه الشعر . و الكدكدة والكاكاد كلاهما ضحك . وطاخية الحكيمة ، في الصفحة التي بعدها ، نملة كلمت سليمان .

ص ١٢٤ وشاطر ومشطبل على كامخ يتململ

من كثير ما وفق اليه المجمع المصري في جهة تخليط المرمة بالرميم ، صنعهم للفظة « ساندويش » جملة لتعنيها وقد لا تعنيها . فالساندويش عندهم « شاطر ومشطور بينهما كامخ ! »

وبيت :

بكل نبيذ يحلل ويحرّم ويجلل

فيه ، كالمسالة المشهورة ، قولان . ذلك ان « سبعل » قرية وديعة في شمالي لبنان على ربوة تحت أحدور تعصر من العنب شراباً مفخرة غدا ، ككل جيد او قوي أو عظيم ، يستدعي تناقض النظر اليه واختلاف الفتوى بشأنه . فمن قائل :

كل النبيذ محرم الا النبيذ السبعلي !

ومن قائل :

كل النبيذ محلل الا النبيذ السبعلي !...

ومن زاعم شبعاً : بل كله مخلل حتى النبيذ السبعلي !

هذا ، واغتنم الآن المناسبة لاقول بان في هذا الكتاب

جملاً و كلاً كثيراً صدرت مني وهي تمت بصلة تعبير الى أقوال وأبيات لكتاب وشعراء سابقين من عرب وفرنج ، كما فيها الكثير مأخوذاً من استعمالات وطرق حديث والفاظنا الشعبية ، خصوصاً في هذه الجهات من تفاتف شعر « القارعة » ، حيث وردت كلمات وتراكيب قد تعد حتى من وحشي حوشي اللهجة العامية نفسها . كذلك أيضاً يلقى القاريء ذكراً وتضميناً كثيراً لتعابير واسماء أعلام واشياء ومقاصد وافكار هي اما اختصاصية او شبه اختصاصية ببابها في « نونيات » الغناء الرقصي على لسان الفارياقيين ولفيفهما ، وفي اناشيد الابتهالات الصوفية المازحة عند سقوط الهوهة وشرب المدامة على ذكره باواخر الفصل المذكور .

ولا أظن من وظيفتي او بطاقتي بعد ، في هذه الهواميش ، التدليل على كل هذه المقتبسات والاستعارات ، وقرابة الخواطر والقوالب المتواردات ، وحشد الاشارات والتشابيه والتضمينات من لفظية ومعنوية ، وإلا لصارت هذه التعليقات كتاباً على كتاب يصح فيها ما قاله العارف بالله شرف الدين حين سؤل في تفسير قصيدته « نظم السلوك » في مجلدين ، فضحك وقال (نجانا الله !) : بانه لو أراد لكتب مجلدين تعليقاً على بيت فيها !

ص ١٢٥ او « جمجم يتبشكل » ، قصدت يستدير « كالبشلك » . اما غريب قرار العجائب بعد ، ففي القاموس : « حاحيتُ حيحاءً مثل به في كتب التصريف ولم يفسر !... وقال الاخفش : لانظير له سوى عاعيتُ وهاهيتُ » . ثم البوح : اسم للشمس ،

والاختلاط في الامراض. القزحة، بزرة البصل. يوحى: من اسماء الشمس. صوحة: اسفل جبل. وصمدح يومنا اشتد حره.

ص ١٢٦ «سكينة» اسم البقه الداخلة انف نمروذ، و «الشيتعور» أو «الشيتغور» هو الشعير.

ص ١٢٧ «النهبط»، بكسرات ثلاثة مشددة الباء، طائر أغبر يتعلق برجليه ويصوت بصوت كانه يقول: «أنا أموت! أنا أموت!» والفلتان، كدبران، نوع يصيد القردة. وكلا الطائرين قاموسيان.

وطخسيني، بكسر الطاء، نسبة شاذة الى مثنى «طخسٍ»، وهو الاصل، ويستعمل في الغالب الاعم لغير الخير، فيقال مثلاً: «هو طخس شر»، أي نهاية فيه، على اعتبار الاصل والنهاية طرفان يلتقيان الى حد كما يلتقي رأس البهلوان باخصيه. أو هي من «شخس» أبدلت الشين طاءً للتضخيم، ثم ألحقت بها ذيول للترخيم. وهذه كانها أصوب لولا شكوك تبيت في حنايا اللغة كالسرسام في حجاب الادمغة.

أما «هواييكل»، فهي مني دغم «هواء» بـ «يأكل».

و «سمويعل»، بتسكين الواو المخففة وتشديد العين، اسم مركب لشيء قديم يظن بان رموز اللغة الحثية ستحل بفضله. والله أعلم!

«الفقنس»، بفتحتين فتشديد، طائر قاموسي كذلك. قال عنه الشيخ، عليه الرحمة، ما أنقله بالحرف الواحد: «عظيم،

بمنقاره أربعون ثقباً. يصوت بكل الانغام والالحان العجيبة المطربة. يأتي الى رأس جبل فيجمع من الحطب ما شاء، ويقعد ينوح على نفسه اربعين يوماً، ويجتمع اليه العالم يستمعون اليه ويتلذذون. ثم يصعد على الحطب ويصفق بجناحيه. فتنقدح منه نار ويحترق الحطب والطائر ويبقى رماداً، فيتكون منه طائر مثله. ذكره ابن سينا في «الشفا»..»

كان لنا به شفاء!

ص ١٢٨ في هذه الصفحة بعض الفاظ لا مندوحة من شرحها: فـ «ملافظون»، مثلاً، قصدت بها اهل اللفظ، و «عللاعل» طمطمانية هللوليا، و «قياقون» تصغير قاقم وجمع مزدوج غير صحيح! أي يقوم عليها الشذوذ من كل جانب.

وبهذه المناسبة الفكاهية تحسن اشارة جدية الى بعض الجموع التي اوردتها، مثل: تفات (ص ٨٦ وغيرها)، شرائط (ص ٧٥)، كشاكش (ص ٤٩)، وبضع أخر. فتفات، مثلاً، أردتها جمع «تفة» للمرة من حركة أو صوت البصق بخفة او بدفعة او اشمئزاز، وهو معنى غير اصيل استعملته للفظة «تف». والحق ان الملاءمة بين معنى اللفظة المولد، أو معنى توليده مني، وبين مفهومها الاصيل، ثم ايجاد جمعها، فضلاً عن تعقد القياس او التصور لبعض الجموع وجموع التكسير لكلمات صحيحة صحة اخذها عن لسان الاعرابي القديم (ولا نذكر صحتها في تسجيل القاموس)، لأمر ربما كان سلوكي فيه على نحو

ما تتضح به احدى تائيات ابن الفارض :
وغصت بحار الجمع، بل خضتها على انـــفرادي، فاستخرجت كل يتيمة !..

ولعل « بحار جمع » الشاعر كانت ، عند تبلور بخار التصوف جوهراً محسوساً ، هي اوقيانوس جمع اللغة نفسها ! من يدري معنى قلبه، وأي جمع علوي كانت عقبتها راقدة حبةً عليه ؟...

ثم «الاطروان» ، وهو اول الشباب وغلواءه . و«الخشكار» معروف . وأما « التلبنية » : فحساء نخالة ولبن وعسل ! وهي اكلة من طيبات ما رزقنا القاموس .

وبخروعوع يتفكهل .

الاولى : زيت الخروع ، والاخرى على نحو ما تقول لهجة العامة : « يتحلى » او « يحلي ضرسه » .

ص ١٢٩ عيواظ مسافحاً قره قوز .

ايراد هذا عجب من امرهما . فرواد شاشتهما يذكرون انهما دوماً على غير حال الوفاق ، وصلحهما النادر دوماً بوسة مخلوطة بمغطة تعقبها المعركة على جليلة او تافهة من لهوات هذا الكون . ولم يغب هذا المعنى عن العارف بالله شرف الدين حين أطال في وصف خيال الظل في التائية ، حيث قال منها (والبيت الخامس فما بعده شاهدي) :

ولا تك باللاهي عن اللهو جملة فهزل الملاهي جد نفس مجدة
واياك والاعراض عن كل صورة مموهة او حالة مستحيلة
فطيف خيال الظل يهدي اليك في كرى اللهو ما عنه الستائر شقت

ترى صورة الاشياء تجلى عليك من وراء حجاب اللبس في كل خلعة
تجمعت الاضداد فيها لحكمة فاشكالها تبدو على كل هيئة
صوامت تبدي النطق وهي سواكن تحرك تهدي النور غير ضوية
وتضحك اعجاباً كأجذل فارح وتبكي انتحاباً مثل ثكلى حزينة
وتندب إن أنت على سلب نعمة وتطرب ان غنت على طيب نغمة

الى ان يقول في اواسط تشبيهه هذا وكأنني ، حسب طريقته ، انا القائلها وهي الناطقة عني بلسان الحال :

وتلمح منها ما تخطيت ذكره وثم اعتمد الا على خير ملحة !..

بنهاوند من ابناء درزة وبنات الدروز في ركب من اهل نجدة ناذر .

اولاد درزة : هم السفلة والخياطون والحاكة . بنات الدروز : هي القمل والصئبان . وناذر : موضع قرب مكة من مرابع الجن .

واما غريب تفنفة هذه العجائب ، فما معاني الفاظها :

فالعوعة : من عاعيت ، اي بلا معنى كما سبق من قول الاخفش . البوع معروف ، وفي المثل : « لا يدرك كوعه من بوعه » . الحيفهي : ولد الكلب من الذئبة . الدوعه سمكة حمراء صغيرة كاصبع ، ولعلها « السلطان ابراهيم » المعروف في السواحل السورية . والدهقوع : الجوع الشديد . اما « هعلوعة » ، فالاصل فيها هاعٌ لاعٌ ، بمعنى هائعٍ لائعٍ ، اي جبان جزوع ، او حريص سيء الخلق .

ص ١٣١ انزلوا عن صليبه ... و ... كفوا عن دين عذابه الخ ...

من التعابير العامية اذا اثقل واحد على آخر ان يقول

المثقل عليه : « حل عن دين صليبي ! »

افرنقعوا يا ملح الكهان الخ ...

كان كهنة الجاهلية يهولون على جمهورهم برمي الملح بالنار ، فيخرج له تصويت كمفرقعات الاولاد . ووردت بعد كذلك في مكان آخر من هذه القصة (ص ١٤٥) اشارة الى عادتهم في خلط القطن بالصوف اذا تكهنوا .

اما « تكنبس » ، ففيها قرآنان معاً : كل على حدة بالنون وبالباء . وقد ورد بعد ايضاً ما يشببهها اكثر من مرة .

واما « السنسن » ، في الصفحة التالية ، فحبوب امتصاصية معروفة ، طعمها عذب ورائحتها ذكية ، يتغلبان على رائحة الفم وطعمه .

ص ١٣٣ ايام العجوز .

ذكر القاموس عدداً كبيراً منها ، وأضاف شارح عليها عدداً كبيراً ايضاً مما فات المحيط منها ، فليراجعها من ود ذلك .

حلاوات ، الهالوين ، .

« الهالوين » اسم لليلة عيد جميع القديسين ، يقع بين آخر يوم تشرين الاول واول يوم تشرين الثاني ، وتجري له باميركا العاب ومساخر مستلطفة جد حسان يشبه بعضها ما يحدث في هذه البلاد من « تبديل » يوم اثنين الراهب . لكن منها ما هو مسخري قائم بذاته ، مثل اخذهم قرعاً أو يقطيناً مستديراً ، وتجويفه وتخريق اديمه بشكل وجه ذي فم وعينين وانف يشع بنور شمعة موضوعة فيه .

ص ١٣٤ مرامرة (كذا) بن مرة بن عوج بن عوق .

شخصان خرافيان جعلتهما واحداً . فمرامر بن مرة (بضمهما) هو ، على ذمة من أخذعنه الفيروز آبادي ، واذا نسينا سعفص و كلمن ، اول من وضع الخط العربي ، كما ان المرامر تعني الباطل ايضاً . اما عوج بن عوق ، فهو ، على الذمة نفسها ، رجل ولد في منزل آدم ، فعاش الى زمن موسى وذكر من عظم خلقه شناعة ! ..

الفاریاق و الفاریاقیة متخاصمان .

لأحمد فارس الشدياق في « الساق على الساق » فصل فكه ظريف كل فصوله يعرض فيه لمحاورة بينه وبين « الفاریاقية » بشأن الرقص . هو الحادي عشر من الكتاب الثالث (الجزء الثاني) ، وعنوانه « في اصلاح البخر » ، جاءت فيه العبارة التالية :

« ... وكان للحاكم عادة ان يدعو جميع المعروفين في خدمته الى ليلة عيد يرقص فيها الرجال والنساء بحضرته . وكان من جملة المدعوين الفاریاق وزوجته . فلما رأت الرجال يرقصون وهم مخاصرون للنساء ، قالت لزوجها : « هل هؤلاء النساء ازواج هؤلاء الرجال ؟ » قال : « منهن هكذا ، ومنهن بخلاف ذلك ! » قالت : « وكيف يخاصرونهن اذاً ؟ » قال : « هذه عادة القوم هنا وفي سائر بلاد الافرنج . » قالت : « وبعد المخاصرة ما يكون منهم ؟ ! » قال : « لا أدري ، ولكن بعد انفضاض الناس يذهب كل الى منزله . » قالت : « اشهد بالله ما خاصر رجل امرأة الا وباطنها ! » قال : « لا تسيء الظن . انها عادة قد مشوا

عليها.» قالت: «نعم، هي عادة، ونعمت العادة! ولكن كيف يكون احساس المرأة حين يلمسها رجل جميل في خصرها؟» قال: «لا أدري، انما انا رجل لا امرأة!» ..... ثم تنفست الصعداء وقالت: «ياليت اهلي علموني الرقص! فما ارى فيه لاشيء نقص!» فقلت: «لو فتحت الصاد في كل من المصراعين لكان بيتاً مطلقاً.» فقالت: «يا للفضيحة بين الانام! أتقول هذا الكلام في مثل هذا المقام؟» قلت: «هيت الى البيت، فقد كفاني ما سمعت الليلة وما رأيت!» قالت: «لا بد من أن أرى ختام الرقص!»

قال: «فلبثنا الى الصباح. ثم انصرفت بها، فكانت تقول وهي سائرة: «نساء مع رجال راقصات! رجال مع نساء راقصون! راقصات راقصون، راقصون راقصات!»

فقلت: «فاعلات فاعلون، فاعلون فاعلات!»

قالت: «الرجال والنساء! والبنون والبنات!»

ص ١٣٥ جلنارات الذقون نواسيات العيون
وردهن والياسمين مسك ريح المرزجون
عنبر ورساطون رأرآوات الجفون

لابي نواس:

يا حزم الباذنوس بالمسك والـ عنبر في نكهة الرساطون
يا ياسميناً بالمسك مختلطاً يا جلناراً في طيب نسرين
خلقت من مسكة مزعفرة أشبه شيء بخرد العين

راكبين مسافرين ارحل انت نحن باقين

خطر لي هذا البيت بمناسبة مقال لصاحب جريدة صغيرة في طرابلس الشام كان عنوانه : « ارحل انت ، فنحن هنا باقون ! » ومن غريب الصدف انه لم تمض ايام على صدوره حتى اصيب المسكين بالوفاة . وكانت الحادثة مدار نكتة بعض عمال المطبعة في مجرى حديث ، فادخلته ، على ما اذكر ، بوقتها .

ص ١٣٧ اوحر وحش فنانين وارناؤوط معلوفين

اشتهر الارناؤوط برقصات جبلية مستملحة شبيهة « بالدبكات اللبنانية » ، وباجسام بدينة كجسوم جنس الغزلان التي اطلق عليها العرب اسماء بتمر الوحش وحمر الوحش وشبهوا بنواظرها النجلاء ، الكحلاء ، المراض ، عيون الجميلات الكبيرة . اما لفظة فنان ، بالتشديد ، فذات معنيين . اولهما المعنى السائر المعروف كوزن المبالغة من « فنن » ، والآخر حمار الوحش بعينه له فنون من العدو . فيلاحظ القاريء ، من ذلك ، حصول نوع جناس معنوي في البيت .

ونغم ثوان لشوبين ... (او لشوبرين)

« الثواني الموسيقية » لشوبر قطعة لحن مرقصة توحي حركة باكنالية . فتضمينها ، على ذلك ، جد ملائم لروح هذا الشعر . غير ان اسم مؤلفها لم يكن ليصاقب القافية ، فوضعته تارة « شوبين » ، مما يجعل الظن باني قصدت القطعة « لشوبان » الموسيقي الكبير الآخر ، وتارة حرفت الاسم الى شوبرين . وما أظن القاريء يتزمت او يؤاخذ !

ص ١٣٨ وكادريل سياسيين .

« الكادريل » رقصة خرجت عن الزي . اما التشبيه ، فهو بديع للغاية . ولكنه ، أسفاً ، ليس لي ! فقد ذكرت اني قرأته في كراس نظرية « الدولة والثورة » لفلاديمير ايلتش اوليانوف .

ص ١٤٠ وقوم مثابون يتثاءبون كألف آمين .

المعروف ان المثابين ومن ينتظرون الثواب ، سواء كان في الحاضرة او الآخرة ، لاناس مريحون ومرتاحون . ولذلك يغلب عليهم النعاس ، فطوبى لهم وللمساكين ! هذا ، ولست أرى منظراً يوحي النعاس وسكينة أرومته مثل قول القائل حين يلفظ آخر صلاته « بآمين » كبيرة . فما قولك بالف ؟

كحلاء العين تختم بخلق الجزع .

الخلق الخاتم ، والجزع بفتح الجيم او كسرها ، هو الخرز اليماني الصيني فيه سواد وبياض ، تُشبه به الاعين ، والتختم به يورث الهم والحزن والاحلام المفزعة ومخاصمة الناس .

ص ١٤٢ ارجله الاربع واحدة في الركض .

هذا تخريج مبالغ به لقول ابي الطيب في فرسه :

رجلاه في الركض رجل واليدان يد

فهو ، على اشتهاره بالغلو ، لم يتجرأ على جعل الاربعة أقل من اثنين . اما العجائب فلم تتورع عن مسخها الى واحد !

وليس على الله بمستكثر ان يجمع الكل في واحد !

وينشد لنا رومينا الخ ...

الشعر اللاحق قصيدة عنب لابن الرومي . وقد أدرت عليها قفلة او نقلتين لن تؤثر ، طبعاً ، على ثبوت ترتيب الاصل .

ص ١٤٣ اي رومي شيطاني يمخط عفراً شمسياً ويطبخ هنا شعراً مسخرة ؟ !

لقد جعلت هذه العجائبُ الخبيثة شعر ابن الرومي أشعات من خفيف غبار الصباح في خيوط الشمس ، ثم حررت ثرثرتها شيئاً . من ذلك تعرف انها قلابة ، وانه يلائمها نشيدها الذي يكاد يفصح ويقول : « قفوا يا ملعوني الارض ! قفوا يا مؤبدي الجوع ! »

هذا ، والقاموس يعرف العفر ، بفتحتين ، بالسهام الذي يقال له مخاط الشيطان ، ومخاطَ الشيطان بالذي يتراءى في عين الشمس للناظر في الهواء بالهاجرة . وتؤاخذ عليه هفوة انه أورد السهام بضم سينها في مكان وبفتحها في آخر . لكن البحر لا يخلو من صدف كسير .

ص ١٤٤ ويلتي !

الويل باب في الجحيم أوله . فتأنيث الكلمة فيه ما يقال .

ص ١٥٠ ونحن الى حسو خمارة اندرون .

الأصل في « أندرون » تحريك الدال فتحاً ، ولكنها مسكنة هنا بالرغم ! ومعنى اللفظة احد اثنين : فتيان شتى يجتمعون للشرب ، او نوادر الكلام ما شذ وخرج من الجمهور . ولسان حال العجائب يتوافق مع كلا المعنيين .

رحمة الكون على همة الى آخر البيتين ...

وهما عن الحسن بن هانئ بتحريف .

ص ١٥١ وقتـــايا الافتدايا خنفشار راب شايا

قصة « الخنفشار » شهيرة : كيف أن أبا العلاء صاعداً وفد على محمد المنصور في الاندلس مدعياً كل علم وجملة المعرفة الى ان امتحنه اهل البلاط ذات يوم اذ ركبوا له اسم « الخنفشار » اختراعاً وسألوه تفسيره ، ثم كيف انهمر يشرح اللفظة على انها نبتة بالجزيرة يعقد بها الاعراب لبناً من الحليب !

انما الفارق بين فعل اللفظة في القصة و في البيت فوق هو كونها صارت هنا روبة للشاي بدل الحليب . والفارق ، كما ترى ، ضئيل من حيث لامعنائيتها على كل حال .

ص ١٥٢ قوتنا قوت الصبايا ... ... تذكرات وحلايا ...

« قوت القلوب » ، و « حلية الاولياء » ، و « تذكرة الاولياء » ، تآليف صوفية . الاول من اقدمها ، والاخير من أشهرها للشاعر الصوفي الفارسي فريد الدين العطار ، نشره ر . ا . نيكلسون في طبعة انيقة مدققة مع هوامش وترضيحات .

ص ١٥٣ الفارضي والمواكبي .

عنيت بالاول ابن الفارض ، وبالثاني جبران خليل جبران .

وتلم سلوك اتائيايا .

اشارة الى قصائد ابن الفارض الثلاثة الشهيرات : نظم السلوك والتائيتين : الكبرى والصغرى .

ص ١٥٤ الاسماء الخرية بين حسان واطايب الخ ...

لشاعر في هجو الصوفية بدور الانحطاط :

أرى جيل التصوف شر جيل فقل لهم ، وأهون بالحلول :
« أقال الله حين عشقتموه : كلوا أكل البهائم وارقصوا لي ؟!»

فتوحاته مكاويا ويا وعنقاؤه حديث خرافياييا

اشارة الى كتابي محي الدين ابن العربي : « الفتوحات المكية » و « العنقاء » . و « الكبريت الاحمر » المذكور قبل من كتب الصوفيين كذلك .

وفي شعر الهوهة بهذه الصفحة « البواطيا » جمعت بها بوطة ، وهي البوتقة ، فكانما العجائب دمى من صب البوتقات . ثم « جواداميا » ، وهي شتيمة انكليزية أحرى باناس من ابنائها .

ص ١٥٥ ستي ان اعياك امري فاحليني زقفون .

للمعري ، في « رسالة الغفران » ، على لسان ابن القارح وهو يحدث عن عبوره الصراط :

فلما خلصت من تلك الطموش (١) قيل لي :

— هذا الصراط فاعبر عليه ! »

فوجدته خالياً لا عريب عنده ، فبلوت نفسي في العبور ، فوجدتني لا استمسك ! فقالت الزهراء ، صلى الله عليها ، لجارية من جواريها :

— يا فلانة أجيزيه ! »

(١) جمع طمش ، وهو الناس .

فجعلت تمارسني (١) وانا أتساقط عن يمين وشمال .

فقلت لها :

ـــ ياهذه ، ان اردت سلامتي ، فاستعملي معي قول القائل في الدار العاجلة :

ستّ ان اعياك امري فاحمليني زقفونه

فقالت :

ـــ وما زقفونة ؟ »

قلت :

ـــ ان يطرح الانسان يديه على كتفي الاخر ، ويمسك بيديه ، ويحمله وبطنه الى ظهره . أما سمعت قول الجلجول من اهل كفرطاب :

صلحت حالتي الى الخلف حتى صرت أمشي الى الورا زقفونه

فقالت :

ـــ ما سمعت بزقفونه ولا الجلجول ولا كفرطاب الا الساعة ! »

فتحملني وتجوز كالبرق الخاطف . فلما جزت ، قالت الزهراء ، عليها السلام : « قد وهبنا لك هذه الجارية فخذها كي تخدمك في الجنان ! »

عن طبعة الكيلاني

واقعاً في هند الاحامس .

« هند الاحامس » هي الداهية في القاموس . او تعني مات !

ص ١٥٥ - ١٥٦ من عند غناء « جيش الخلاص » حتى هزج

---

(٢) تعالجني .

« الجميع يهدرون » ، تقليد هزل للمأساة اليونانية .

ص ١٦٣ ... هذه الرياح حين تنفجر اكياسها في يد حافظها ...

حافظ الرياح ، في « الاوذيسة » ، هو ايولوس بن هيبوتاس. كان محبوب الالهة ، يسكن جزيرة طائفة يسورها حائط من معدن لا يخرق ، فوق شط من صخر أملس . اولاده كانوا ست بنات وستة بنين زاهرين ، في قصره البديع لا يزالون يرتعون ، وقد زوجهم كلهم واحداً من واحدة . وكانوا واياه لا يفارقون مائدة عيد دائم ، ومعهم امهم الملكية ، لما تزل طافحة بالطيبات . وتجوب فسحة القبة المرنانة الاصداء انخرة روائح دسمة تملأها طوال النهار ، وفي الليل ينامون مع زوجاتهم النقيات على أرائك أبهة فرشت بفاخر البسط والسجف .

قدم ايولوس هذا الى عولس كيساً من جلد ثور ابن تسع سنين قيد فيه حبيساً كل نسم عاصف يقلب مياه الاعماق الزرقاء عن قعرها ، لانه هو الذي حكمه زفس المشتروي (او رب المشترى) آمراً على جميع الرياح ليهيج منها راقد قواها او ليسكنها كما يشاء . أعطاها ايولوس لعولس مربوطة على ظهر مركبه بحبال من فضة مجدولة حتى لم يستطع ان يفلت منها نفس واحد .

ثم اشار الى « زيفورس » اللطيف أن ينتفخ في القلوع عطوفاً.

عن ترجمات كاوبر و براينت و « لورنس العرب »

أو افتش على أخي الصغير .

الاصوب، كما لا يخفى ، « أفتش عن » . لكن القارىء لا بد يلاحظ بانني حاولت جهد المستطاع أن أضع في فم هذه الفتاة لغة تفصح عنها ، كما يمكنني قول مثل ذلك ايضاً في جماع هذه القصة : أي انني أسريت فيها التعبير بكل مرحلة منها حسب روحها وما كان وفاق شينها او زينها . وهي ، على كل حال ، ومثل فتاتنا المحبوبة هذه ، يصح في كل منهما ما داعب به الراجز الجرادة في وصفه :

ملعونة تسلخ عن لون لون كانها ملتفة في بردين !

أما كامل ، فندعو له كدعاء قصص الاجداد : ان تكون افاقته بعد حتى آخر أيامه كما قال رهين المحبسين :

فيا لك من يقظة كأني بها حالم !

أنما على غير حاله الأول .

وبهذا الكفاية .

جدول اخطاء

صفحة	سطر	خطأ	صواب
١١	٢	المبكوتة	المكبوتة
١٧	٢	صامد	هامد
٢٩	١	ظاهره	ظاهرها
٣٧	٦	العنن	العينن
٤٠	٨	اسلبت	اسبلت
٤٣	٨	صلعات	صلعان
٤٤	١٩	٤٤	٤٦ ويتبعها ما بعدها على ذلك
٥٧	٣	النريش	التريش
٦١	١	كوبليتس	كهوبليتس
٦٨	٣	تمله	تململه
٧١	١٨	لهالج	الهالج
٧٦	١٨	على موتك	على حيانك
١٠٤	٨	مكشفاً	مكتشفاً
١١٦	٤	ومنه	قيل ومنه
١٢٩	٣	الشمعمق	الشمقمق
١٥٣	١٥	قل كنور	قل كنوز
١٩٤	٨	يشبيها	يشبهها

وفي الصفحة ١١٦، سطر ٣، عبارة: « والسرية من خمسة انفس الى ثلثمائة او اربعمائة »، يلزم ان تكون بين هلالين (...)، لانها واردة بالقاموس في مادة س ري، وقد ادخلتها فيما اخترته من متن مادة ق رع (القارعة) للتفسير العرضي فحسب.

ثم وردت « لن يقو » في الصفحة ١٤٨، والسطر ٧ مجزومة. على انها تحتمل معنى الجزم مع ذلك، ولعلة تحضير « لن » للاستقبالي.

COLUMBIA
UNIVERSITY
LIBRARY

COLUMBIA UNIVERSITY LIBRARIES

This book is due on the date indicated below, or at the expiration of a definite period after the date of borrowing, as provided by the rules of the Library or by special arrangement with the Librarian in charge.

DATE BORROWED	DATE DUE	DATE BORROWED	DATE DUE
C28(1140)M100			

893.7K5272 O

MAY 12 1942

COLUMBIA LIBRARIES OFFSITE
CU58960929
893.7K5272 O
Azaliyani ...